موسى الصادي

الغِيبة معول الدمار



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشّر عبادِ * الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾

(١٧ ـ ١٨ الزمر)



الحمد لله العليم الذي لا ينسى من ذكره ، ولا ينقص من شكره ولا يخيب من دعاه ولا يقطع رجاء من رجاه ، والصلاة والسلام على عبده المسدد ورسوله المؤيد المصطفى الأمجد ابي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وجعلنا من أتباعهم وشيعتهم وحشرنا في زمرتهم وممن اهتدىٰ بهديهم واستضاء بنورهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

١

ما أصغره حجماً ومنظراً . .

وما أكبره فعلاً واثراً . .

قصير قصير حتى لا يكاد يبلغ ارنبة الانف . .

ولكنه ، طويل طويل ، حتى ليكاد يبلغ آخر الدنيا وغاية الكون .

ما استعمل ابن آدم آلة خيراً منه إذ يزف إلى الجنان .

وما استعمل شرّاً منه إذ ان سقطته لتورد النيران . .

ينام كالطود . . فيعيش المرء عبادة « الصمت » وتزهر الحكمة في القلب أو يتدفق كالبحر . . فيزداد اللغط والغلط والثرثرة . . وذلك يعني الوقوع في الذنب والخير كل الخير فيما بينهما . . إذ لا يتحرك إلا في مرضاة الله لإحقاق

الحق وابطال الباطل .

إنه « اللسان » إن طاب طاب ما سواه ، وإن خبث خبث ما سواه ، فلا وظيفة له اخطر من وظيفة الكلام . . ولذا جاء الحديث مؤكداً :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[1] .

« رحم الله عبداً تكلم خيراً فغنم أو سكت فسلم »[2] .

« الناس ثلاثة : غانم وسالم وشاجب : فالغانم الذي يذكر الله ، والسالم الساكت ، والشاجب الذي يخوض في الباطل »[3] .

وقد ورد في الحديث الشريف عن معاذ بن جبل (رض) قال : قلت لرسول الله (ص) اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ؟! فقال : « لقد سألتني عن عظيم وإنه لُيسيّر على من يسّره الله : تعبد الله ولا تشرك

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص٤٩ .
(٢) المحجة البيضاء ج٥ ص١٩٤ .
(٣) المحجة البيضاء ج٥ ص١٩٥ .

به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال الا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت بلىٰ يا رسول الله ، قال : « الصوم جُنّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماءُ النّارَ . وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلا ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع . . حتى بلغ . . يعملون ﴾ . ثم قال : ألا اخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت بلىٰ يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلىٰ يا رسول الله : قال : كُفّ عليك هذا وأشار إلى لسانه ، قلت : يا نبيّ الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يُكبّ الناس في النار على وجوههم . . أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » . . . *[1] .

وقد سئل الإمام أمير المؤمنين (ع) : أيُّ شيءٍ مما خلق الله أحسن ؟ فقال : الكلام . . . ، فقيل : أيُّ شيءٍ مما خلق الله اقبح ؟ قال : الكلام . . ! ثم قال : « بالكلام ابيضت الوجوه ، وبالكلام اسودت الوجوه » . *[2] .

---

(١) الكشكول الكامل لبهاء الدين العاملي ج١ ص٩٤ .
(٢) تحف العقول ص١٥٤ .

وبتحديد أدق لمسؤولية الكلام وما يتمخض عنه من رضوان الله أو سخطه يقول الرسول (ص) ببيانه البسيط الرائع : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه »[1] .

بل يحذّر الرسول الأكرم (ص) من مجرد الكلمة تقال للدعابة ولكن بغير حق حيث يقول عليه افضل الصلاة والسلام :

« إن الرجل ليتحدث بالحديث ما يريد به سوءاً إلا ليضحك به القوم يهوي به أبعد من السماء .

الا هل عسىٰ رجل منكم أن يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم ، فيسقط بها أبعد من السماء ـ أي مسيرة خمسمائة عام ـ !!

الا هل عسىٰ رجلٌ منكم يتكلم بالكلمة يضحِكُ بها أصحابه ، فيسخط الله بها عليه ، لا يرضىٰ عنه حتى يدخله النار ، وإن الرجل ليدنو من الجنة حتى ما يكون بينه وبينها

(١) ميزان الحكمة ج٨ ص٤٣٥ .

إلاّ قيد رمح فيتكلم بالكلمة فيتباعد منها أبعد من صنعاء »[1].

« الكلام إظهار ما في القلب من الصفا والكدر ، والعلم والجهل » .

قال أمير المؤمنين (ع) :

« المرء مخبوء تحت لسانه » .

فزن كلامك وأعرضه على العقل والمعرفة . فإن كان لله وفي الله فتكلموا به ، وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه . وليس على الجوارح عبادة أخف مؤونةً وأفضل منزلةً وأعظم قدراً عند الله من الكلام الذي فيه رضى الله . ولوجهه . ونشر آلائه ونعمائه في عباده ، اترى أن الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين الرسل والأمم ، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل والطف العبادة ، وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبةً عند الله وأشدها ملامةً وأعجلها سآمةً عند الخلق منه . واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب ، وبه ينكشف

---

(١) ميزان الحكمة ج٨ ص٤٣٨ .

ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة ، والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله ، وليس شيء أحق بطول السجن من اللسان »[1] .

فالكلام جزء من العمل . . وهو مسؤولية . وأحياناً تكون الكلمة كالقيد إذْ قيل : إن وعد الحر ديْن عليه . والكلمة شرف . وكان بعض الحكماء يقول : « سقطت من ابعاد شتّى ولكني لم أجد أشد خطراً وإيلاماً من سقطات اللسان » .

« فالكلام بما لا يعنيك » إحدى آفات اللسان ، « وفضول الكلام » آفة اخرى ، « والخوض في الباطل » عثرة من عثرات اللسان ، و« المراء والمجادلة » عثرة أخرى ، « والخصومة » « والتشدق » بالألفاظ الرنانة ، والسبّ البذيء أو الفحش و« اللعن » لغير مستحقيه و« الغناء » و« الشعر الفاحش » و« المزاح اللفظي » و« الإستهزاء » و« إفشاء السر » ، و« الكذب » في القول واليمين ، كلها من سقطات اللسان . إلّا أن أخطرها على الإطلاق قضايا تطال المجتمع باسره إذ يتعدّى مفعولها القائل الى غيره من أبناء الأمة وفي طليعة هذه الآفات اللسانية . . السعاية والنميمة والغيبة ولكن أشدها خطراً وغموضاً هي « الغيبة » .

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص١٩٧ .

٢

رآه فيما يرى النـائم . أنه جـالس في روضة بهيّـة زكيّة الرائحة يرفل في غلالة بيضاء موشاة بالذهب والفضة . . بين يديه ألوان الفاكهة والخضار مما تشتهي النفس .

فأقبل عليه مسلماً فـرد عليه بـأحسن تحية . . وكـأنما تذكر شيئاً فسأله على الفور : والدي العزيز أولست ميتاً ؟ فما لي أراك جالساً تأكل . . ؟ فتبـسم الوالد قال . . إنه لكـذلك وأنـا الآن في روضة . . لا ينغّص عليّ هـذا النعيم إلا شيء واحد . . وموعده بعد قليل !

وما لبث أن رأى الحالة قد تغيرت فإذا بالثمار والخضار تبتعد عن والده وإذا بـالدخـان يزحف على المكـان وسحابـة داكنة يفوح منهـا الحر والنتن تقتـرب وإذا بحالـة الوالـد تتغير

ولونه يصفر ويحمر ويسود . . وإذا به يسمع من خلفه صوت زئير وشهيق وصفير وخبط أقدام كأنما تُزلزل المكان فالتفت مذعوراً جهة الصوت . وإذا بعقرب عملاق بحجم البغل يتطاير الشرر من عينيه وتندلع النار من فيه وسوط ملتهب يتلوّى متدلياً من ذيله يتقدم ببطء حتى كاد يهشم رأس والده الذي جثا مذعوراً ولسانه مدلوع الى الأرض ، فإذا بذلك الصوط الملتهب يلتف حول لسان الأب وينغرز الذيل فيه وآهة عظمى تجاوز عنان السماء انطلقت من الوالد الفقير .

بعد استفاقته من إغمائته . وقد رحل كل السوء وعاد كل شيء الى وضعه الأول . عاد الإبن الى رباطة جأشه فسأل أباه مجدداً . . والدي العزيز لِمَ كل هذا العذاب الذي ينغص عليك النعيم الذي اراك فيه . . قال :

ـ بني إعلم أن ذلك يُفعل بي كل يوم مرّة ، لأني لم أكن أحفظ لساني من الغيبة !

وإذ ذاك استيقظ مرعوباً وهو يردد . الغيبة . . الغيبة . . الغيبة . .

***

هي حفرة من حفر النار . . أو روضة من رياض الجنة وتلك هي حقيقة « القبر » التي لا يراها من الأحياء إلاّ من

كشف له الله سبحانه الغطاء ، فأضحى بصره حديداً .

و« العمل » الذي يكسبه المرء في الدنيا نتيجة قناعته واختياراته هو الذي يحدد هوية تلك البقعة من الأرض حيث الرقدة الطويلة حتى يأذن الله ببعث من في القبور .

وإذا كان العمل الدنيوي ترجمةً لما في الصدور من « الإيمان » ، فإن القول جزء من العمل . وما القول إلاّ حصاد اللسان ، فهو إما كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، واما كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . إجتثت من فوق الأرض فما لها من قرار .

والغيبة ليست إلا جزء من تلك الكلمات الخبيثة النتنة يتفوّه بها اللسان ، فإذا بكل الأعضاء الجسدية تضج بالشكوى الى الله على اللسان . . كما ورد عن أبي عبد الله (ع) قال :

« ما من يوم إلاّ وكل عضو من أعضاء الجسد يستكفي اللسان يقول : نشدتك الله أن أعذب فيك »[1].

وورد في الحديث ما رواه سعيد بن جبير ـ رضوان الله

---

(١) الإرشاد لمن طلب الرشاد ص١٢٥ .

عليه ـ مرفوعاً الى رسول الله (ص) أنه قال :

« إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تستكفي اللسان أي تقول إتّقِ الله فينا فإنك إن استقمت إستقمنا وإن إعوججت إعوججنا »[1].

وفي رواية اخرىٰ عن الإمام الكاظم (ع) أنه قال :

« إن لسان إبن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ، ويقولون : الله الله فينا ! ويناشدونه ويقولون : إنما نثاب بك ونعاقَب بك »[2].

بل يؤكد الحديث على أن اللسان أشد الأعضاء عقوبة لهول جريمته إن لم يراقب . فقد جاء عن أبي عبد الله (ع) قال :

« قال رسول الله (ص) : يُعذب اللسان بعذاب لا يعذب به شيء من الجوارح ، فيقول : أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً ؟ فيُقال : خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسُفك بها الدم الحرام .

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه .

وانتُهب بها المال الحرام ، وانتُهك بها الفرج الحرام ، وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من الجوارح »[1].

وكما أن اللسان ميزان الانسان ، وترجمان عقله ، فإنه مفتاح الخير والشر . . فقد ورد عن الإمام الباقر (ع) قوله إن أبا ذر كان يقول :

« يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم لسانك كما تختم على ذهبك وورقك »[2].

وقال الإمام امير المؤمنين (ع) : . . [ولقد قال رسول الله : « لا يستقيم ايمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه وهو نقيّ الراحة من دماء المسلمين وأموالهم ، سليم اللسان من أعراضهم فليفعل][3].

كما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله (ص) قوله :

« إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء

---

(١) الإرشاد لمن طلب الرشاد ص١٢٥ .

(٢) ميزان الحكمة ج٨ ص٤٩٣ .

(٣) نفس المصدر .

تدبّره بقلبه ثم امضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه»*[1] . ومن اشد ما نعاقب عليه بهدم أعمالنا وخراب ديارنا . . « الغيبة » .

فما هي ؟ وما موقف الإسلام منها ؟ . . وما أسبابها ونتائجها ؟ . . وكيف سبيل الخلاص منها ؟ .

على كل منا ان يتبين دوره جيداً في الاضطلاع بمسؤولية القضاء على هذه الظاهرة التي لا تنم عن خلق اسلامي وانما تدل على فقدان الايمان وروح التقوى . بل تشير لمستوى الامة اللا حضاري وسيطرة السلبيات على السلوك الاجتماعي . بما يحمله من سمة التخلف .

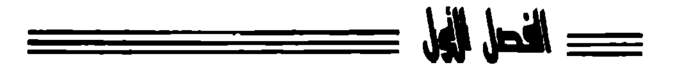
إن الصفحات القادمة ـ عزيزي المؤمن ـ تستعرض قضية الغيبة من اوجه شتى كي نقف على حقيقتها ، والدور البالغ الذي يمكن أن تقوم به . لاسيما على صعيد العلاقات الفردية والإجتماعية .

فنسأل الله العفو والمغفرة إنه سميع الدعاء .

موسى الهادي
لوس انجلوس
١٤٠٦/٦/٦ هـ

---

(١) نفس المصدر ص٤٩٤ .



حقيقة الغيبة

« أمر النبي (ص) الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن لـه ، فصام النـاس حتى إذا أمسـوا جعـل الـرجـل يجيء فيقول : يا رسول الله ظللت صائمـاً فأذن لي لأفـطر ! فيـأذن له ، ثم الـرجل والـرجل حتى جاء رجـل فقـال : يـا رسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وإنهما تستحيـان أن تأتياك فأذن لهما فلتفطرا فأعرض عنه ثم عـاوده فأعـرض عنه ثم عاوده فقال : إنهما لم تصومـا ، وكيف صام من ظـل هذا اليـوم يـأكـل لحـوم النـاس ؟ . . إذهب فمُـرهمـا أن كـانتـا صائمتين ان يستقيئا . فـرجع اليهمـا فأخبـرهما فـاستقاءتـا ، فقاءت كل واحدة منهما علقـة من دم فرجـع الى النبي (ص) فأخبره فقال : والذي نفس محمـد بيده لـو بقيتا في بـطونهما لأكلتهـما النار » .

وفي رواية « إنه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال : يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال النبي (ص) ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعُسّ أو قدح فقال لأحداهما : قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح ، وقال للأخرى : قيئي فقاءت كذلك . فقال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما . جلست إحداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس »[1] .

* * *

يبدو أن بيئة التخلف تشكّل أرضية خصبة تترعرع فيها الغيبة وتنشأ في أوجالها بما يوفره التخلف من أسباب الجهل والانحطاط والفراغ الذي يقتل الطاقات ويفترس الأفراد لاسيما مع غياب الوعي وضمور الاهتمامات الحقيقية والتوجهات الحيوية البنّاءة .

فبقدر ما يحمل الإنسان من قضية يستطعم ذوق الحياة لأنه يخوض صراعاً بحجم قضيته ، وخوض الصراع بحد ذاته دافع يعطي الإنسان احساساً بأهمينه بأنه يؤدي دوراً وذو موقف في الحياة فلا فراغ إذن يحتار فيه المرء كيف يقضّيه .

---

(١) أخرجه أحمد مسنداً الى انس بن مالك مسند أحمد ج٥ ص٤٣١ .

إذ الحياة ليست فراغاً وإنما هي ادوارٌ تُؤدّى ومواقف تنبثق من رؤية !

فإن لم يتبنَّ المرء قضية ما فَقَدَ طعم الحياة ، لأنه بعيد عن أي صـــراع ، أو أي دور حقيقي حيث يجـد نفســه بــلا موقف لأنه بلا رؤية ! لذلك يستولي عليه السأم ويسيطر عليـه الفراغ . إلا أن الأعماق لا تتركه بلا عمل فيلجـأ إلى اختلاق الادوار وافتعـال المواقف والقيـام بـأي عمـل ، ولا شـك أن أبسط الأعمال هو الكلام . . وهنا مكمن الخطر فالكـلام فيه مـزالق وآفات اللســان متـوثبـة جـامحـة ، والإمـام علي (ع) يقول :

« من كثـر كـلامـه كثـر خـطؤه ، ومن كثـر خـطؤه قـلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه . ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار »[1] .

ولكن الإنســان لا يتكلم وحـــده وإنمــا يبحث عـمن يستمع اليه ويشاطره جزءاً من الكلام فإذا اجتمع رهط ممن لا عمــل لهم ولا قضيـة عنـــدهم إلا « طق الحنـك » و« لـــوك اللسان » سَهُل عليهم آنئذٍ مضغ لحوم الناس بالغيبة .

والمجتمع العربي قبـل الإســلام كـان مجتمعاً مفككـاً

---

(١) نهج البلاغة ص٥٣٦ / صبحي الصالح .

خاوياً لا قضية لأفراده ، ولا توجهات أو طموحات جوهرية لدى مؤسساته وتجمعاته . لذلك كانت مخلفاته ورواسبه الجاهلية كبيرة جدّاً كلفت الرسول الأعظم (ص) غالياً كي يزكي ذلك المجتمع من الشوائب الانحرافية والشذوذ الخلقي قال تعالى : **﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾** .

سورة الجمعة ، الآية ٢ .

من هنا ليس مستغرباً أن يجيء الإسلام حرباً على العادات الذميمة والممارسات الخاطئة وما قصة الفتاتين اللتين قاءتا القيح والدم والصديد أمام رسول الله إلا شاهدٌ على ما بذله (ص) من جهود مضنية لتطهير المجتمع من سلبياته .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو . كيف قاءت الفتاتان قيحاً ودماً وصديداً بينما هما صائمتان ؟

إلا أن الجواب يتلخص بأن للقصة واقعاً إعجازياً كشفه الله على يدي رسوله (ص) لاثبات ما للغيبة من أثر مادي على الفرد قد لا يراه بعينيه ما لم يُكشف عنه الغطاء .
وهذا مشبه لقوله تعالى فيمن يأكلون أموال اليتامى :

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ .

سورة النساء ، الآية ١٠ .

يحسبونها في البداية لذّةً وهم يجهلون أنها نار إلّا أنه ليس خفياً ما للغيبة من قيح العداوات الذي يمتلىء به صدور المستغابين حينما تبلغهم الغيبة . وما يعقب ذلك من دم المعارك والحروب التي تنشب في المجتمع نتيجة الغيبة وما تتركه في القلوب من صديد الحقد والبغضاء .

وينطبق هذا التأويل على كثير من الروايات التي وردت بشأن الغيبة على الخصوص حيث لا يدرك الحس البشري العادي مدى شؤم الغيبة وخطورتها ونتنها . وما تجره من ويلات على صاحبها ومن تناولهم بلسانه بأكل لحومهم . ولسوف نشاهد الكثير من الاحاديث كشواهد على هذه الحقيقة .

فإذا كان أمر الأفراد يؤول الى ما آل اليه أمر تلك الفتاتين بفعل الغيبة ، فما حال الأمم إذن إذا استطاب أفرادها الائتدام بلحوم الناس يا ترى ؟

إن الأمم المتخلفة كالأفراد تماماً في هذه القضية لن يكونَ نتاجها ومحصلة انشطتها إلا مزيداً من الانحطاط

وركوساً أكثر في الحضيض مما يؤدي الى كارثة « الفناء » .

أما الإنسان فحقوقه في الإسلام محفوظة مرتين . .

مرة لأنه انسان يشاركنا في كونه آدمياً . ومرةً لأنه مسلم له حرمة الإسلام وأخوة الإيمان كما قال الإمام علي (ع) : « الناس اثنان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » .[1]

من هنا توجّب في الإسلام أن يحافظ المسلم على نظافة المجتمع المسلم مما يدنّسه أو يضعفه .

(والغيبة تفسد أجزاء المجتمع واحداً بعد واحد فتسقطها عن صلاحية التأثير الصالح المرجوّ من الاجتماع وهو أن يخالط كلٌ صاحبه ويمازحه في امن وسلامة بأن يعرفه إنساناً عدلاً سويّاً يأنس به ولا يكرهه ولا يستقذره ، وأما إذا عرفه بما يكرهه ويعيبه به انقطع عنه بمقدار ذلك ، وضعفت رابطة الاجتماع ، فهي كالآكلة التي تأكل جثمان من ابتُلي بها عضواً بعد عضوحتى تنتهي إلى بطلان الحياة)[2] .

---

(١) نهج البلاغة / عهد مالك الأشتر .

(٢) تفسير الميزان ج٨ ص٣٢٤ بتصرّف .

الفصل الثاني

معنى الغيبة

أصيبت الأمة بنكسة فراحت تهرول فوق منحدر . وهنالك فقط بدأت تفقد مقومات النهضة ، وشيئاً فشيئاً ركست في مستنقع التخلف ، فراح ينشر عليها غلالاته المهترءة لتفقد حيويتها وينطفىء بريق الحضارة في شتى نواحيها . ومن ثم تفشت فيها الأمراض والإفرازات التي نجمت من عصور القشرية والانحطاط ، تاركة السبيل للغيبة كاخطر مرض إجتماعي أن يتسلل الى العادات الفردية وكان الغيبة أمر عادي أو وجبة شهية يتندر بها أهل المجلس دون أدنى اهتمام بمخلفاتها ونتائجها المدمرة .

وليس من شك أن إستمرار التخلف في الأمة عامل قوي أفرز الغيبة في المجتمعات الاسلامية وكرسها مع غيرها من السلبيات وما زلنا نعاني منها ليوم الناس هذا .

فالغيبة في أجلى وأبسط معانيها هي أن تذكر أخاك بظهر الغيب بما فيه مما يكره . ولذلك قال تعالى :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾

سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

وأن تصفع أخاك الجالس الى جانبك ، فإنه لا شك صافعك واحدة بواحدة والبادىء أظلم ، أمّا أن تنهش جسد أخيك الراقد رقدة الأبدية فلا شك أنه لا يملك القدرة على الرد مطلقاً ، ولذلك فليس فخراً ان تستأسد على ميت ، فلو كان حياً لما تركك تمضي دون قصاص !

وكما أن الميت لا ينمو جسمه وبالتالي إذا نُهِش فالنقص سوف يبقىٰ أبداً ، والثلم لا يلتئم !! فكذلك الحال في الغيبة .

كذلك المغتاب الذي ينال أخاه بظهر الغيب ، لا فخر له في ذلك ولا كرامة ، فلو كان أخوه الى جانبه لما تفوه ببنت شفة ، لذلك يصور القرآن لنا الغيبة على أنها نهش في جسد الاخ الغائب وكأنه ميت .

وتلك قمة الوحشية ، وحضيض التهافت والضعف ، ومنتهى اللا انسانية والفظاظة والإسفاف . و«عض الظهر»

كما يقول الإنجليز أو « إعمال المقص في الظهر » كما في المثل الدارج ، كلها تعبيرات قاسية ومريرة استخدم فيها المجاز للتعبير عن الغيبة . والتعبير القرآني هنا دقيق جداً لدرجة أنه يصور الغيبة بالأكل من لحم الميت . . الذي لا ينمو ولا يتجدد كاللحم الحي ، فهدم كرامة الأخ بعيداً عن حضوره يصعب بناؤها بعدئذٍ . إذ كيف تغيِّر فكرة عنك رسخت في ذهن إنسان أو مجموعة من الناس وتبدِّل الصورة السلبية بأخرى مشرقة ؟

وإذا حاولت تغيير الصورة فإنك لن تستطيع تغييرها بالكامل دون أن تترك في نفسيَّة المستمع ظلالاً باهتةً من الشك والريبة أو الحذر أو على أقل التقديرات علامة استفهام حولك ! فانظر أي جريمة إرتكبها المغتاب في حق المستغاب !

(والإنسان حينما يختار مجتمعاً ينتمي إليه إنما يختاره ليعيش فيه بهوية اجتماعية . . أي بمنزلة اجتماعية صالحة ، لأنه يخالطه ويمازجه فيفيد فيه ويستفيد منه . وغيبته بذكر عيبه لغيره إنما تُسقطه عن هذه المنزلة ، وتُبطل منه هذه الهويّة ، وبالتالي ينقص عدد المجتمع الصالح فرداً ، وإذا توالى نقص الافراد بالغيبة في المجتمع قد يأتي على آخره فيتبدل الصلاح فساداً ويذهب الأُنس والأمن والاعتماد

وينقلب الدواء داءاً .

وهو في الحقيقة إبطال هوية اجتماعيـة على حين غفلةٍ من صاحبها من حيث لا يشعـر ، ولو علم بـالأمر على مـا فيه من خطر لتحرّز منه وتوقّى انتهاك ستره . . السـتر الذي القـاه الله سبحانه على عيوب الإنسـان ونـواقصه لينمّ بـه ما أراده من طـريق الفـطرة لتـألّف أفـراد الإنســان وتجمعهم وتعـاونهم وتعاضدهم وإلا فأين الإنسان والنزاهة من كل عيب ؟!!

وإلى هذه الحقيقة أشـار تعالى فيمـا ذكره من التمثيـل بقوله :

﴿ ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتمـوه ﴾ وقـد أتى بـالاستفهـام الإنكـاري ، ونـسب الحب المنفي إلى احـدهم ولم يقل « أيحب بعضكم » ، ليكـون النفي أوضـح استيعاباً وشمـولاً ، ولـذا أكّـده بقولـه . . « فكرْهتمـوه » أي نسب الكراهة للجميع ولم يقل : فكرهه . .

وبـالجملة محصلة أن اغتياب المؤمن بمنـزلة أن يـأكل الإنسان لحم أخيه حال كونه ميّتاً ، وإنما كان لحم أخيـه لأنه من افـراد المجتمع الاسـلامي المؤلف من المؤمنين . وإنمـا المؤمنون إخوة ، وإنما كان ميتاً لأنه لغيبته غافل لا يشعر بمـا

يُقال فيه !)[1] .

جاء أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه إلى رسول الله (ص) وسأله النصيحة . . . فقال له من بين ما قال :

« يا أبا ذر إياك والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ، فقال أبو ذر : قلت : يا رسول الله وما الغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكره . قلت : يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ قال : إعلم أنّك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهتّه ! »[2] .

وعن الإمام الصادق (ع) قال :

« الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه مما قد ستره الله عليه فأمّا إذا قلت ما ليس فيه فذلك قول الله « فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً »[3] .

أما الإمام الكاظم (ع) فيعطيها أكثر تحديداً بمدى احاطة الناس بالأمر حيث يقول :

---

(١) تفسير الميزان ج١٨ ص٣٢٤ بتصرّف .
(٢) أخلاق أهل البيت ص٢٢١ .
(٣) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٩ .

« من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه . ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه »[1] .

قال العلامة المجلسي في تحديد معنىٰ الغيبة شرعاً ما نصه :

(ذكر الإنسان المعيّن أو من هو بحكمه ـ أي تنطبق عليه نفس المواصفات ـ في غيبته ـ أي ليس في حضوره وإلاّ فهي ليست غيبة ـ بما يكره نسبته إليه وهو حاصل فيه ـ كالمواقف المخزية والأعمال المشينة ، أما الذي لا يكره أن تنسب اليه كالمجاهر بشرب الخمر مثلاً فلا ـ ويعد نقصاً في العرف بقصد الإنتقاص والذم ، قولاً أو إشارةً أو كتابةً تعريضاً أو تصريحاً . فلا غيبة في غير معين ، كواحد منهم من غير محصور كأحد أهل البلد)[2] .

من هنا نجد أن رسول الله (ص) حينما يغضب من بعض التصرفات ويريد أن يؤدب المخطئين بحضور الصحابة يقول مغضباً دون أن يحرج المخطىء بالإسم أو الإشارة أو التعريض :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٢٣ .

« ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا . . . »

. . ولا يعيّن . كل ذلك يصنعه رسول الحق (ص) تحاشياً ورحمة أن ينال المخطىء اذىً في حضوره أو يكون غيبةً في غيابه !

أفلا نقتدي بأحب الخلق الى الله ؟ . .

وأما أنواع الغيبة فكثيرة إذ لا تقتصر على اللسان وإنما تشمل الكنايات والإشارات والإيماءات والكتابة .

يقول العلامة المجلسي :

(واعلم أنّ ذلك لا يقصر على اللسان ، بل التلفظ به إنّما حرم لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه . فالتعريض كالتصريح ، والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والرمز والكنبة والحركة ، وكل ما يفهم المقصود داخل في الغيبة ، مساو للّسان في المعنى الذي حرّم التلفظ به لأجله ، ومن ذلك ما روي عن عائشة أنّها قالت : دخلت علينا إمرأة فلمّا وَلّت أو مأتْ بيدي أي قصيرة فقال (ص) : إغتبتيها ؟! ومن ذلك المحاكاة بأن تمشي متعارجاً أو كما يمشي فهوغيبة . بل أشدّ من الغيبة ، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ، وكذلك الغيبة بالكتاب فإنّ

الكتاب كما قيل أحد اللسانين)[1] .

من هنا فإن الغيبة مسألة دقيقة ومسؤولية خطيرة . لأن الإنسان قد يقع فيها من دون أن يلتفت الى ما صنع ولأنه مسؤول عما قاله غداً مما قد يؤدي به إلى الهاوية ولا ينفع ساعتئذٍ ندم .

(١) نفس المصدر ص٢٢٤ .

الفصل الثالث

الغيبة وموقف الإسلام

الإستفهام الإنكاري هو موقف القرآن من الغيبة والمغتابين . . . ﴿ **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه** ﴾ ؟ . . . ولكننا لدى استعراض النصوص الإسلامية لا سيما ما ورد منها على لسان الدليل الى الله في الليل الأليل الرسول الأكمل (ص) وآله الأخيار ، يتبين لنا الموقف الإسلامي الصارم والثابت الذي لا يتزعزع بالنسبة للغيبة في الإسلام وهو :

أولاً : الإدانة الكاملة للغيبة من أساسها باعتبارها نهش للحم الأخ الميت وليس الحي لأن الحي يدافع عن نفسه . . . والغائب كالميت .

ثانياً : التنديد بفاعلها باعتباره يعمل على نشر الرذيلة ويروج لها ، والله يصف مثل هذا الإنسان بأنه من « الذين

يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . . . »

وورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

« من اذاع فاحشة كان كمبتدئها ، ومن عيّر مؤمناً بشيء لا يموت حتى يركبه »[1] .

وقال الإمام (ع) :

« ذوو العيوب يحبون إشاعة معائب الناس ، ليتّسع لهم العذر في معائبهم »[2] .

ثالثاً : النهي عنها باعتبارها افشاء لما احب الله أن يستر ، وهو امر مبغوض من الله سبحانه وتعالى . ولا شك أن ذكر الأخ بما يكره إفشاء لسلبياته وعيوبه مما يسقط قدره في الناس ويحط من مكانته الاجتماعية . ولقد قال الإمام الصادق (ع) :

« من روى عن مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ، ليسقط من أعين الناس ، أخرجه الله عز وجل من ولايته الى ولاية الشيطان »[3] .

---

(١) اخلاق أهل البيت ص٢٢٣ .
(٢) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٦ .
(٣) أخلاق أهل البيت ص٢٢٢ .

رابعاً : ذمها والتحذير منها لأنها تأكل الحسنات . وتبدل الصالحات وتهدم العبادات وتزيد العثرات وبالتالي تقضي على دين الرجل . فقد قال الرسول الأعظم (ص) :

« الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه »[1] .

وهل هنالك أسرع فتكاً في جوف الرجل من « القرحة المعدية » أو « السل الرئوي » أو أشباههما ؟ . كما قال (ص) :

« من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلّا ان يغفر له صاحبه »[2] .

خامساً : التهويل بعاقبتها وتشديد النكير عليها كإحدى « الكبائر » التي توجب النار وبئس القرار لما لها من الأثر السلبي في المجتمع بحيث تقطع أواصر المحبة وتترك بين الناس البغضاء والحقد فتهدم العلاقات وتفرق الجماعات وتهتك الحرمات وتقود المجتمع إلى الهلكات فلقد قال رسول الله (ص) يعظ الناس في خطبة حجة الوداع :

---

(٢) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٧ .

(٣) نفس المصدر .

« أيها الناس ، إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، إنَّ الله حرم الغيبة كما حرم المال والدم ، الا هل بلغت »[1] .

وقال الصادق (ع) محذراً :

« لا تغتب فتُغتب ، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنّك كما تَدين تُدان »[2] .

فتحريم الغيبة في الجملة إجماعي بل هو كبيرة موبقة للتصريح بالتوعد عليها بالخصوص في الكتاب والسنة كما يقول الشهيد الثاني رفع الله درجته حيث يورد بعض الشواهد على هذا الحكم إذ أضاف :

(قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ الهمزة الطّعّان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس)[3] .

وروي أن عيسى (ع) مرّ والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ريح هذا !! فقال عيسى (ع) : ما

---

(١) المصدر السابق ص٣٣٢ .
(٢) المصدر السابق ص٣٣٣ .
(٣) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٢٢ .

أشد بياض أسنانه !! كأنه ينهاهم عن غيبة الكلب . وينبههم على انّه لا يذكر من خلق الله إلا احسنه .

ولا يخفى ما اراده عيسى (ع) من ضرورة الالتفات إلى الايجابيات والإشادة بها ، وليس فقط لا تنصرف الانظار إلا الى السلبيات لتضخيمها واشاعتها . إذ ليس من الانصاف ان يتصيد الإنسان الاخطاء على اخوانه العاملين ليقدح ويذم دون أن يلتفت الى أصل العمل والجهود التي بذلت لتحقيقه .

الفصل الرابع

الخيبة والآثار الوخيمة

حينما يشدد الإسلام النكير على الغيبة ومن يتعاطاها فإنما لما تخلّفه من الدمار الإجتماعي بحق الأفراد والمجتمع لكل فئاته وشخصياته ورموزه الفاعلة والقيادات التي تحركه فكم شخصية قُبرت . أو قيادة وُئدت ، أو مشروع إنتهى قبل أن يولد بسبب الإشاعات والغيبة وإفشاء الأسرار !

و« إتحاد المسلمين » كان ولا يزال من أهم الأهداف التي يصبو الإسلام لتحقيقها واستمرارها فقد عني بالوحدة الإسلامية عناية فائقة إذ جعل المسلمين في توادهم وتآزرهم وتآخيهم كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص ليكونوا النموذج الأسمى والمثل الأعلى في القوة والمنعة ، وسمو الكرامة والمجد ، وقد أرسى لهم في مسألة الوحدة نظماً وآداباً ودستوراً خالداً ، فحثهم وشجعهم على الألفة والمودة

والأخوة وجعل هـذه القضية عنـواناً لـلإيمان « إنّمـا المؤمنون أخـوة » . كما أنهـا هبة من الله سبحـانـه . . . « الله ألّف بين قلوبهم » وأمرهم من أجل تـوثيق العلاقـات الاجتماعيـة فيما بينهم بحسن الخلق ، وصـدق الحـديث وأداء الأمـانـة والاهتمام بشؤون المسلمين ورعاية المصالح العامة وحمّل كل فرد مسؤوليـة الحفـاظ على وحدة الأمـة وحقوقهـا « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . ثم نهـاهم عن كل مـا يعكر صفـو القلوب أو يثير الأحقـاد والضغـائن ، والكـذب والغش والخيانة والشتيمة والغيبة .

ومن جانب آخر يقول الشهيد الثاني تغمده الله بالرحمة والرضوان :

(واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمـر الغيبـة وجعلها أعظم من كثير من المعاصي الكثيرة هو اشتمالها على المفاسد الكليّة المنافية لغرض الحكيم سبحانه بخـلاف باقي المعـاصي فإنّهـا مستلزمة لمفـاسـد جـزئيـة ، بيـان ذلـك أنّ المقـاصـد المهمّـة للشـارع إجتمـاع النفـوس على همّ واحـد .وطريقـة واحدة . وهي سلوك سبيـل الله بسـائـر وجوه الأوامر والنواهي ، ولا يتم ذلـك إلاّ بالتعـاون والتعاضـد بين أبنـاء النوع الإنسـاني ، وذلك يتـوقف على اجتمـاع هممهم وتصـافي بـواطنهم واجتمـاعهم على الإلفـة والمحبـة حتّى

يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ، ولن يتمّ ذلك إلاّ بنفي الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه ، وكانت ضد المقصود الكلّي للشارع ، وكانت مفسدة كلية ، ولذلك أكثر الله ورسوله النهي عنها والوعيد عليها ، وبالله التوفيق) [1]

فالغيبة عامل خطير ، ومعول هدم ودمار لتقويض صرح المجتمع وإفساد علاقات الأمة الوثيقة بربّها وببعضها ، ولذا حرّمها الشرع المقدس وعدّها من الكبائر . فمن أبرز مساوئها :

١ ـ ترويج الإشاعات : ويسميها الإسلام « الإذاعة » أو إشاعة الفاحشة وتشجيعاً على ارتكاب الفحشاء والمنكر كما أنها هدم لمكانة الرجال والأعمال الصالحة . فقد جاء عن الإمام الكاظم (ع) :

« كذّب سمعك وبصرك عن أخيك ، وإن شهد عندك خمسون قسّامة ، وقال لك قولاً (أي أخوك) فصدّقه وكذّبهم . ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به ، وتهدم مروته . فتكون من الذين قال الله عز وجل : ﴿ إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٢٣ .

والآخرة ﴾ .[1]

سورة النور الآية ١٩ .

وجاء عن الصادق (ع) قوله :

« من قال في مؤمن ما رأتـه عيناه وسمعتـه اذناه ، فهـو ممن قـال الله عـز وجـل : ﴿ إنّ الـذين يحبّـون أن تشيـع الفـاحشـة في الـذين آمنـوا لهم عـذاب أليم في الـدنيـا والآخرة ﴾[2] .

فـلا عذر إذاً لمن يقـول سمعت فلانـاً يقـول : (كـذا وكـذا . .) . أو يقـول : (سمعت أن فـلانـاً عمـل كـذا وكذا . . ثم يغتاب) ، أو يقول : (رأيته بأم عيني يفعل كذا وكذا . .) .

٢ ـ تفكـك أواصر المجتمـع : حيث تتمـزق الـوحـدة الإجتماعية وتتفتت الجبهة الداخلية بالغيبـة لأنها تبـذر سموم البغضاء والفرقـة بين الصفوف فتعكـر صفـو المحبـة وتفصم عـرى الصداقـة ، وتقطع وشـائج القـرابة . فلو بلغت الغيبـة المغتاب لاستثارت حنقه ضد المستغيب ممّا يدفعـه للثأر منـه فيبادله الذم والقدح وهل يحتاج مجتمعنا المتخلف لمزيد من

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٦ .
(٢) المصدر نفسه .

إثارة الفتن الخطيرة والمآسي المحزنة ؟

فلقد حذرنا الإمام علي (ع) من الغيبة لأنها قد تكون علّة في الإساءة إلينا من قبل الآخرين :

« إياك أن تجعل مركبك لسانك في غيبة إخوانك ، أو تقول ما يصير عليك حجة ، وفي الإساءة إليك علة »(١) .

وكما قال (ع) :

« إيّاك والغيبة فإنها تمقتك الى الله والناس وتحبط أجرك »(٢) .

وقد قال لقمان الحكيم لأبنه واعظاً : « إذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك »(٣) . . أي من اللغو والشتائم والغيبة والكذب . . الخ .

٣ ـ قتل الطموح : لاسيما في الناشئة الذين ينشأون على الروح السلبية الهدامة فلا ينصرف لما فيه البناء والعطاء والتضحية ، بل إن إشاعة السلبيات تثبط العزائم وتُصيب المرء بالخيبة ، وخصوصاً إن كان متعلقاً بشخص يراه قدوة له

---

(١) المصدر نفسه ص٣٣٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) ضياء الصالحين ص٥٢١ .

فتأتيه الإشاعات المغرضة فتتزعزع ثقته بقدوته وتلقي الشك في قناعاته فيصاب بالإحباط والتردد والنكوص . فلقد قال الإمام علي (ع) :

« الغيبة شر الإفك »[1] .

كما قال :

« من أقبح اللؤم غيبة الأخيار »[2] .

وإذا كان الطموح دليل قوّة النفس ، وبُعد الهمّة .

« يطير المرء بهمّته كما يطير الطائر بجناحيه » .

فإن الغيبة تقتل الطموح لتزرع مكانه العجز والخور وقد جاء في الحديث :

« الغيبة جهد العاجز »[3] .

٤ ـ إشغال المجتمع بقضايا هامشية : فخلق الجبهات الثانوية التي تشغل المجتمع عن تركيز طاقاته لحل مشاكله الرئيسية وقضاياه الأساسية لَحَرِيّ بأعداء الدين والأمة فكيف ينجر أبناء المجتمع لمثل هذه الداهمة الدهماء . حالقة

---

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٢ .
(٢) نفس المصدر ص٣٣٣ .
(٣) نفس المصدر ص٣٣٣ .

الدين كما سمّاها الرسول (ص) حينما قال :

« إنّما أخاف عليكم من الحالقة ! قالوا : وما الحالقة يا رسول الله ؟ قال : لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين . . سوء ذات البين »[1] .

إنّه سوء ذات البين الذي ينشأ من الجهل ويؤدّي الى الغيبة في كثير من الاحيان ، أو ينجم عنها .

٥ ـ فتح الثغرات : الوحدة سور الأمة والمجتمع ، والذي يحاول أن ينال من السور إنما يفتح ثغرات يسهل اختراقها وتسلّلُ الأعداء منها إلى داخل المجتمع . والغيبة هي تلك الثغرة التي يروّج العدو مكائده عبرها بنشر الشائعات وترويج الأباطيل والتمهيد لمؤامراته ومن ثم هدم الركائز الحيوية في الأمة والمجتمع .

٦ ـ تكريس القطيعة بين المسلمين لاسيما وأن الإختلافات موجودة . حيث تعمل الغيبة على صب الزيت على النار كما يقال فإذا بالطائفية تترسخ أكثر في بيئة الغيبة والحقد والحسد .

ولو أن الأطراف المتنازعة سواء على صعيد السنّة

---

(١) المصطفى من احاديث المصطفى (ص) .

والشيعة أو المذهبيات وأهل الطرق والإتجاهات الفكرية الإسلامية عرفوا حدود الإختلاف وطريقة التعامل ولزموا تقوى الله لما انطلقت الألسن بالشتائم والتهم والبهتان والغيبة .

٧ ـ محق العمل الايجابي : إذا سادت الغيبة وسيطرت الشائعات هذا يعني إهدار القيم وتضييع الجهود فلا ذكر جميل ، ولا شكر جزيل ، ولا تشجيع لعامل ولا كرامة لباذل . ولا نجاح لمشروع ، فالكل يتردد بدل الإقدام لخوفه من اللوم والتقريع ، فينفتح المجال للأشرار آنئذٍ أن يلعبوا كيف شاءوا بينما الأخيار ينسحبون من الساحة مما يؤدي الى التدهور والإنحطاط .

٨ ـ العقاب الأكبر يوم القيامة : وقد وردت الأحاديث متواترة ومتنوعة لمن دأبه الغيبة . . قال رجل لعلي بن الحسين (ع) :

« إن فلاناً ينسبك إلى أنّك ضال مبتدع ، فقال له علي بن الحسين (ع) : ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه . ولا أدّيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه ! . . إنّ الموت يعمّنا . والبعث محشرنا ، والقيامة موعدنا ، والله يحكم بيننا . . إيّاك والغيبة فإنها إدام كلاب النار . واعلم أن من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه

الاكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه »[1] .

وقال رسول الله (ص) : « يُؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويرفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول : إلهي ليس هذا كتابي ! فإنّي لا أرى فيها طاعتي ؟! فيقال له : إن ربّك لا يضل ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب الناس ، ثم يُؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه ، فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول : إلٰهي ما هذا كتابي ! فإنّي ما عملت هذه الطاعات ! فيُقال : لأنّ فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك ! »[2] .

وجاء في حديث المعراج قوله (ص) :

« لمّا عُرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يُخمّشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم »[3] .

وأوحى الله تعالى الى موسى (ع) :

« من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مُصرّاً عليها فهو أوّل من يدخل النار »[4] .

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ج٧ ص٢٦١ .
(٣) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٣ .
(٤) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٥٢ .

وعن أنس قال خطبنا رسول الله (ص) وذكر الربا ـ وعظّم شأنه فقال :

« إنّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من الخطيئة من ستّ وثلاثين زنية يزنيها الرجل وإنّ أربى الربا عرض الرجل المسلم »[1] .

فهل تُبقي الغيبة خياراً لذي لُبّ بعدئذٍ وحسناتُه مهددة بالزوال من كتابه ؟!!

رُوي عن بعض الورعين أن رجلاً قال له : أنّ فلاناً قد اغتابك ، فبعث إليه طبقاً من الرطب ، وقال : بلغني أنّك أهديت إليّ من حسناتك فأردت أن أكافئك على التمام !!

ولما كان الحديث هنا عن آثار الغيبة في المجتمع المسلم فلا بد من التنويه هنا أن غير المسلمين من الذميين أو المواطنين في دولة الإسلام وإن لم يكونوا من أهل الكتاب ، لهم حرمة خاصة . فإن إيذاءهم ظلم والظلم يؤدي الى الفتنة والاضطراب في المجتمع ، والغيبة نوع من الإيذاء والحيف ، فلنتذكر هنا قول أمير المؤمنين (ع) :

« الحيف يدعو الى السيف » .

---

(١) نفس المصدر ص٢٥٣ .

فلا بد إذن من احترام الناس جميعاً إذا ما التزموا بقوانين الدولة الإسلامية مسلمين كانوا أو غير مسلمين . فأبناء المجتمع الإسلامي وإن كانوا كما اسلفنا غير مسلمين ينطبق عليهم بعض مفاهيم الحديث الشريف :

« من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم ، كان ممن حرمت غيبته . . » الحديث[1] .

بل إن المسلم العادي محكوم بالعدالة ما لم يُمسك بالجرم المشهود ، حتى ولو كان في نفسه خاطئاً عاصياً فالناس لا يحكمون إلا بالظاهر . . وهو ممن تجوز شهادته والصلاة خلفه . . وقد ورد الحديث بهذا الشأن فيما جاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

« من لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان فهو من أهل العدالة والستر ، وشهادته مقبولة ، وإن كان في نفسه مذنباً ، ومن اغتابه بما فيه فهو خارج عن ولاية الله عز وجلّ داخل في ولاية الشيطان »[2] .

---

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٦ .
(٢) نفس المصدر ص٣٤٨ .

أي عامله على أنه عادل ولا تسمع فيه قول من قـال !!
وسيأتي الحديث في فصل لاحق بشيء من التفصيل والـزيادة إن شاء الله تعالى .

الفصل الخامس

الغيبة في حكايات وصور



عن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال : لو كنت مغتاباً أحداً ، لاغتبتُ والديّ ، لأنهما أحق الناس بحسناتي .

* * *

من المؤلم حقاً أن يتجنّى مؤمن في حديثه على إخوانه في دين الله ممن يجمعه وإيّاهم هدف واحد ومعاناة مشتركة وعدو بعينه ، فلا يتورّع أن يتّهمهم بالنفاق والإنحراف والإنتهازية ، أو لعله لا يتردد عن التصريح بكرهه لهم أو لإنتماءاتهم الحركية ومساراتهم الفكرية ضارباً بعمله هذا أخوّة الدين عرض الحائط .

ولو كانت القضية مجرّد « ابداء رأي » أو « وجهة نظر » لهانت المسألة باعتبار أن الآراء تتباين ووجهات النظر تختلف

إنّما الخطورة تكمن في إصراره على أن رأيه «حكم» فيرتب عليه موقفاً عملياً ، ومن ثم يحاول فرض ذلك «الحكم» على الآخرين كي يتخذوا مثله نفس «الموقف» ممن تكلم ضدهم .

* * *

قيل لأحد القادة الرساليين : أنّ فلاناً من السادة العلماء يقول عنك منافقاً ، فقال : سامحه الله وهداه وبرّأنا مما نسب إلينا ولا تعُد لتنقل ما تسمع .

* * *

دخل أرسطو يوماً على افلاطون ، فرآه مغضباً ، فقال له : ما يغضبك أيها المعلم ؟ فقال : شيء أخبرني به الثقة عنك وفيك ! فقال أرسطو : الثقة لا ينمّ ولا يغتاب !!

* * *

كثيراً ما نجد شخصاً فاضلاً عليه سيماء العلماء والمحترمين يتوّج رأسه عمامة تضفي عليه قدسية تجلب إحترام الناس له . فيذهب ممثلاً أو وكيلاً أو مبعوثاً من قِبل أحد القادة الكبار ، الى إحدى المناطق ليساعدهم على حل مشاكلهم بنقل آراء المرجع أو القائد اليهم فيما خوّله من «نقل رواية» عنه في مختلف المسائل ، إلاّ أنه ، بغفلة منه ، وجهل من الجماهير ، يعثر لسانه بترويج شائعة على

أحد المؤمنين ، أو ينقد جماعة من العاملين بغضّ النظر عمّا إذا كانوا من أهل المنطقة أو غيرها ، فيترك كلامه انطباعاً في ذهنية الناس على أن كلامه تعبير عن رأي من أرسله في ذلك المؤمن أو تلك الجماعة ! !

فما هو الواقع ؟ وما موقف الناس حينئذٍ ؟

والواقع أن كلام ذلك الشخص « الوكيل » إنّما كان يعبر عن رأيه هو بالذات وإلاّ فليستشهد على كلامه بقرينة تدل على أن ذلك رأي الموكّل لا الوكيل !

أمّا موقف الجماهير ، فلا بد أن يتريثوا ويتبينّوا حقيقة الأمر قبل أن يصدّقوا فيتخذوا موقفاً قد يندمون عليه فيما بعد ، وإنّما عليهم أن يطالبوا صاحبهم بالدليل ليثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ كلامه إنّما كان رأي موكّله . والدليل طبعاً لا بد وأن يكون مادياً أي صوت الموكّل أو كتاب منه وإلاّ فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :

﴿ يا أيّها الذين آمنوا ، إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

* * *

قيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحداً . فقال : لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس ، ثم أنشد :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها
لنفسي من نفسي عن الناس شاغلُ

* * *

قال بعض العبّاد . . خرجت يوماً الى المقابر فرأيت البهلول ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : أجالس قوماً لا يؤذوني . وإن غفلت عن الآخرة يذكروني وإن غبت لم يغتابوني .

* * *

هناك من يغتاب الآخرين وحينما يعترض عليه معترض يصر على الغيبة ويحتج بأنه يقول ما يقول بظهر « فلان » لأنه يقول أمامه كذلك ! إلا أن هذا التبرير لا يخرجه من كونه مغتاباً إن كان صاحبه ممن لا تحل غيبته فإن كان موجوداً وذكره بما يكره فإن فعله آنئذٍ ليس غيبةً وإنما ايذاءٌ لأخيه المؤمن فكأنما هو خرج من معصية الغيبة إلى معصية الإيذاء !!

* * *

قال إبراهيم بن الأدهم : صحبت أكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان ، فكانوا يوصونني : إذا رجعت لأهل الدنيا فعظهم وقل : من يكثر الأكل لم يجد لذّة العبادة ، ومن أكثر النوم لم يجد في عمره البركة ، ومن طلب رضا الناس فلا

ينتظر رضا الرب ، ومن أكثر فضول الناس والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الإسلام .

* * *

قال رجل لابن سيرين : قد اغتبتك فاجعلني في حل . فقال : لا أحل ما حرّم الله بل حكمه على الله .

قيل لبعض الصالحين : فلان يشتمك ، وكان صديقاً له ، فقال : هو في حل . فقيل له : ولم ذاك ؟ فقال : ما أحب أن يثقل الله ميزاني بأوزار إخواني .

* * *

هناك من يتخذ منك موقفاً مسبقاً ، فهو غير مستعد أن يستمع إليك لأنه قد سمع عنك فصدّق ما سمع حتى ولو كان ما قيل عنك بهتاناً !

بل لا يحب أن يواجهك او يلتقي بك . وإذا ما حضر مجلساً أنت فيه تتحدث فإنه يقوم من المجلس ويخرج محتجاً يريد مقاطعتك فيحجر على نفسه أن يستمع اليك ! لماذا كل هذا التحامل ؟ . . يتحامل عليك وأنت لم يسبق لك أن عرفته أو حادثته فلماذا الحكم المسبق على الأشخاص ؟ الله أعلم ! !

* * *

ومرة طلب رجل من ابن سيرين أن يحلل أخاً له اغتابه

فقال ابن سيرين : إني لم أحرمها عليه فأحللها له ، إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ما حرّم الله ابداً !

* * *

أراد رجل تطليق زوجته ، فكلما قيل له : ما يسوؤك منها ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر زوجته . فلما طلقها قيل له : لم طلقتها ؟ قال : وما لي وللكلام فيمن صارت أجنبية ؟!!

* * *

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ !

أن تظن في أخيك شيئاً ما ، فذلك لك ، إذ لا يحق لأحد أن يتدخل في أعماقك فيحجر عليك ما تشاء أن تعتقده . ولكن أن ترتّب على ظنك موقفاً عملياً فذلك مرفوض إذ لا يُسمح لك أن تعطي لظنونك واقعاً عملياً !! والظن ما دام حبيس النفس لم يخرج الى الواقع لا يؤثر إلا في نفس صاحبه أما إن خرج فإنه ينعكس سلبياً تجاه الشخص المظنون به من قبل صاحب الظن وغيره ممن يتأثرون بوجهة نظره ! وذلك أمر مرفوض لأن كثيراً من الظن لا يقوم على أساس صحيح فإذا حاول صاحبه أن يعطيه بُعداً

واقعياً يدخل في الإثم ! لأنه قد يدخل في غيبة أو بهتان !!
أما عن الظن ومقياسنا فيه . فقد قال ابو الحسن الثالث (ع) : « إذا كان زمانٌ العدل فيه اغلبُ من الجور فحرام ان تظن بأحد سوءً حتى يُعلم ذلك منه ، وإذا كان زمانٌ الجور فيه اغلب من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يبدو ذلك منه » . سفينة البحار .

* * *

رُوي أن رجلاً قال لآخر : بلغني أنك تغتابني ، فقال : ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي .

* * *

يُقال أن ابن سيرين ذكر رجلاً فقال : ذلك الرجل الأسود . ثم قال : « استغفر الله إني أراني قد اغتبته ثم ذكر ابراهيم فقال النخعي ولم يقل الأعور مخافة الوقوع في الغيبة .

* * *

أن لا تصدق كل كلام الآخرين فذلك أمر طبيعي فما كل الناس يتحرون الصدق . وأن لا تصدق كلام من لا تعرفه إلا بإثبات فذلك لك . وأن لا تصدق كلام أخيك لأنه لم يدعم كلامه بالدليل فذلك وشأنك !

أما أن تكذّب أخاك الذي يملك دليلاً على ادعائه أو تشكك في كلامه فذلك مردود عليك . لأنك لا تملك الحق في أن تكذّب أخاك أو تلقي الشك حول كلامه فإنك بذلك تزعزع ثقة الآخرين فيه وتدعوهم للشك في كلامه وتسقط هيبته وتنتهك حرمته إن كان حاضراً في المجلس أما إن كان غائباً فذلك إتهام وسوء ظن وغيبة في حقه !

* * *

عن مجاهد قال : كان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ، ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين . وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس .

* * *

قال بعض الحكماء : إذا رأيت من يغتاب الناس ، فاجهد جهدك أن لا يعرفك فإن أشقى الناس به معارفه .

* * *

عن الرضا (ع) قال : أوحى الله إلى نبيّ من انبيائه إذا أصبحت . فأوّل شيء يستقبلك فكله ، والثاني فاكتمه ، والثالث فاقبله ، والرابع فلا تؤيسه ، والخامس فاهرب منه .

قال : فلمّا أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف ، وقال : أمرني ربي عزّ وجلّ أن آكل هذا ، وبقي متحيراً . ثم رجع الى نفسه فقال : إنّ ربّي جلّ جلاله لا يأمرني إلا بما اطيق فمشى إليه ليأكله فلمّا دنا منه صغر حتّى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها . فوجدها أطيب شيء أكله ، ثم مضى فوجد طستاً من ذهب قال؛ أمرني ربّي أن اكتم هذا فحفر له وجعله فيه ، وألقى عليه التراب ، ثم مضى فالتفت فإذا الطست قد ظهر قال : قد فعلت ما امرني ربيّ عز وجل فمضى فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال : امرني ربي عزّ وجل أن اقبل هذا ففتح كمّه فدخل الطير فيه ، فقال له البازي : أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيّام فقال : إن ربيّ عزّ وجلّ امرني أن لا اويس هذا ، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه ثم مضى ، فلمّا مضى إذا هو بلحم ميتة منتن مدوّد ، فقال : أمرني ربي أن أهرب من هذا فهرب منه ورجع .

ورأى في المنام كأنّه قد قيل له : إنّك قد فعلت ما أمرت به ، فهل تدري ماذا كان ؟ قال : لا ، قيل له : أما الجبل فهو الغضب إنّ العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب ، فإذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكن غضبه ، كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التي اكلتها ، وأمّا

الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عز وجل إلاّ أن يظهره ليزيّنه به ، مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة وأمّا الطير فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحته ، وأمّا البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه ، وأما اللحم المنتن فهي الغيبة فاهرب منها .

* * *

هناك من يستخف بقدر الآخرين أفراداً فيستهزىء بهذا ويضحك من ذاك ، والاستهزاء إيذاءٌ للمؤمنين أو غيبة لهم وبهت . وهنا تكمن المصيبة ، إلا أن الأدهىٰ والأمرّ ، أن تجري الكلمات على اللسان استهزاءً بالآخرين مجرى اللطيفة والضحكة ، فهنا نجد البعض يتورط في سخرية تشمل شعباً بأكمله ، وقد يكونوا أهل بلاد واسعة كالهند أو اليمن أو مصر . . الخ . وقد يكونوا أهل أقليم أو أهل بادية أو قرية !!!

* * *

زار بعض العلماء بعضُ العباد ونقل له كلاماً عن بعض معارفه فقال له العالم : قد أبطأت في الزيارة وجئتني بثلاث جنايات : بغّضت إليّ أخي ، وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك بما قلت من غيبة !!!

* * *

انصف الناس من نفسك وإلا فالحذر الحذر فإنها الغيبة أو الإيذاء !! فالسؤال هنا هو : لماذا تزرع الشكوك دائماً فيما اعتقد أو افكر أو اعمل ، وإن كان حقّاً يوافق السنّة ، وتجعل الحق في جانبك دوماً فيما تعتقد وتفكر وتعمل وإن كان باطلاً ؟ . .

* * *

كتب الشيخ البهاء رضوان الله عليه في كشكوله :

[قد جرىٰ ذكري يوماً من الأيام في بعض المجالس العالية والمحافل السامية ، فبلغني أن بعض الحضّار ممن يّدعي الوفاق ، وعادته النفاق ، ويظهر الوداد ودأبه العناد ، جرى في ميدان البغي والعدوان واطلق لسانه في الغيبة والبهتان ، ونسب إليّ من العيوب ما لم تزل فيه ، ونسي قوله تعالى ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ﴾ فلما علم أني قد علمت بذلك ، ووقفت على سلوكه في تلك المسالك ، كتب إليّ رقعة طويلة الذيل ، مشحونة بالندم والويل ، يطلب فيها مني الرضا ويلتمس الاغماض عما مضىٰ ، فكتبت إليه في الجواب ، جزاك الله خيراً فيما اهديت إليّ من الثواب وثقّلت به ميزان حسناتي يوم الحساب ، فقد روينا عن سيد البشر والشفيع المشفّع في المحشر (ص) أنه قال : « يُجاءُ

بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناتـه في كفة وسيئـاته في كفـة ، فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فتـرجح بها ، فيقول : يا رب ما هـذه البطاقـة ؟ فما من عمـل عملته في ليلي ونهاري إلا استقبلت به ، فيقول عز وجـل « هذا مـا قيل فيك وأنت منـه بريء » فهـذا الحديث النبـوي قد أوجب بمنـطوقه علي أن اشكـر ما أدّيتـه من النعم إليّ ، فـأكثـر الله خيـرك واجـزل ميـرك ، مـع أني لـو فـرضتُ أنـك شـافهتني بالسفاهـة والبهتان وواجهتني بـالوقـاحة والعـدوان ، ولـم تزل مصـرّاً على إشاعـة شنـاعتـك ليـلاً ونهـاراً مقيمـاً على سـوء صناعتك سرّاً وجهاراً ، ما كنت أقابلك إلا بـالصفح الجميـل والصفـاء ، ولا أعاملك إلا بـالمودة والـوفاء ، فـإن ذلـك من أحسن العادات ، وأتم السعادات ، وإن بقية مدة الحيـاة أعز من أن تصـرف في غير تـدارك ما فـات ، وتتمـة هـذا العمـر القصيـر لا تسـع مؤاخـذة أحـدٍ على التقصيـر ، على اني لـو صرفت العنان إلى مجازاة أهل العدوان ومكافئـة ذوي الشنان لـوجـدت إلى تـدميـرهم سبيـلاً رحيباً وإلى فنـائهم طـريقـاً قريباً](*) .

الفصل السادس

الغيبة بواعثها وأسبابها

كأي مرض يدب في الأوصال ، لا بـد أن تكون هنـاك جرثومة كانت سبباً في انتقال المـرض من الجسم السقيم الى الجسم السليم ، ولربّما كان السبب نقصاً في مـادة غذائيـة ، أو إختـلالاً وظيفيـاً في عضـو من الأعضـاء كـذلـك بـالنسبـة للأمراض النفسية فإن البواعث لها كثيرة وهي لا تعدو واحـداً من المسببات المرضية جرثومةً أو نقصاً أو عطباً .

ويمكننا أن نبوّب الاسباب الباعثة على الغيبة ضمن مـا يلي :

أ ـ سوء التـربية :

حيث ينشـأ الطفـل في بيت لا يتورع أهله عن اغتيـاب النـاس ونهش لحـومهم ، و« من شـب على شـيء شـاب

عليه » . وهذا نقص تربوي خطير إذ لا ينتبه الوالدان لخطورة دورهمـا إلاّ بعد فـوات الأوان وهما لا يعلمـان أنهما بـالغيبـة يلقيان بابنهما في حضيض الشقاء .

ورد عن الإمـام الـرضـا (ع) عن أبيـه عن الصـادق صلوات الله عليهم قال :

« إن الله تبـارك وتعـالىٰ ليبغض البيت اللحِم واللحِم السمين . فقال له بعض اصحابه : يا ابن رسول الله إنـا لنحب اللحم ، ولا تخلو بيـوتنا منـه ، فكيف ذلك ؟ فقـال (ص) : ليس حيث تـذهب إنّما البيت اللحِم البيت الـذي يُؤكـل فيـه لحوم الناس بالغيبة ، وأما اللحِم السمين فهو التجبـر المتكبر المختال في مشيته »[1] .

وروى المجلسي رحمـه الله أن أديم بيّـاع الهَـرَوي قال :

« قـلت لأبي عـبـد الله الـصـادق (ع) : بـلغـنـا أن رسول الله (ص) كان يقـول : « إن الله يبغض البيت اللحِم » قال : إنّما ذاك البيت الذي يؤكل فيه لحوم الناس ، وقد كـان رسـول الله (ص) لحِماً يحب اللحم . وقـد جاءت امـرأة الى رسـول الله (ص) تـسـألـه عن شيء وعـائشـة عنـده ، فلمـا

---

(١) المحجة البيضاء ص٢٥١ .

انصرفت وكانت قصيرة قالت عائشة بيدها تحكي قصرها ، فقال لها رسول الله (ص) : تخللي ! قالت يا رسول الله وهل أكلت شيئاً ؟ قال : تخللي ! ففعلت فألقت مضغة من فيها » !

والمجلسي عليه الرحمة يعلق قائلاً :

« وكأنه بإعجازه (ص) حدثت مضغة من اللحم بين أسنانها لتعلم أن الغيبة بمنزلة اكل لحوم الناس ، وفي القاموس اللحِم ككتِف : الكثير لحم الجسد كاللحيم . والأكول للحم الغرِم إليه ، والبيت يُغتاب فيه الناس كثيراً وبه فُسّر « إنّ الله يبغض البيت اللحِم » [1] .

ب ـ التشفي :

وهو باعث على الغيبة لا سيما وأن الإنسان لا يجد ما ينفس به عن انفعالاته وغيظه سوى الكلام على الذي أغاظه بالحق طبعاً أمّا إن كان الذي أغاظه مبطلاً فالعنوان يختلف . فشفاء الغيظ يحتاج إلى قوة إرادة كي يضبط غيظه ويكظمه ، ولا تتأتّى هذه القوة إلاّ بالتقوى يقول الرسول الأعظم (ص) :

« من اتّقى ربّه كلّ لسانه ولم يشفِ غيظه » [2] .

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٥٦ .

(٢) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٦٥ .

بينما يتوعد الذي لا تقوى له بقوله (ص) :

« إن لجهنّم باباً لا يـدخله إلاّ من شفىٰ غيظه بمعصيـة الله »[1] .

جـ ـ المجاراة :

وهـو أن يجاري الحديث الذي يسمعـه من الأصدقـاء والأقـران فيخشى الإساءة إليهم إن لم يجـارهم فيه أو يعتقـد أنّهم هكـذا يظنـون . وأحيانـاً يشارك في الحـديث بأعـراض النـاس دون التنبيه لخـطورة ما يفعـل ديناً ودنيـا ، غافـلاً عن عقـاب الله لكثير من المـذنبين والكافـرين الذين يجيبـون يوم القيامة حينما يُسألون :

﴿ مـا سلككـم في سقـر * قـالـوا لم نـك من المصـلين * ولم نـك نطعم المسكين * وكنّـا نخوض مع الخائضين ﴾

سورة المدثر ، الآية ٤٥ .

وهـذه الصـورة تشبـه الى حـد بعيـد صـورة من يـأتيـه المرض بالعدوى .

د ـ المباهاة :

---

(١) نفس المصدر .

وهو أن يترفع الشخص عن بعض السلبيات فيقوم بتبرئة نفسه من عيوب يسوقها أمثلة ثم يربطها بأشخاص غيره قد ارتكبوها ، ويردف بعد ذلك معلّقاً : أنا لا يمكن أن اصنع مثل ذلك ابدا ! فهو يتشدق بتنزيه نفسه عن مساوىء لا يرتضيها فيقع في شر منها ألا وهي الغيبة وتزكية النفس .

هـ ـ الهزل :

وهذا كثيراً ما يحدث حين يحاول الإنسان أن يضحك الناس بالسخرية من إنسان آخر فيبدأ بالكلام بما فيه وأحياناً بما ليس فيه . والأدهى من ذلك أن يلجأ أحياناً للسخرية من شعب بكامله كأن يقول : (لا يفهم كأنه هندي) أو : (حيّال كأنه «بويمن») وهكذا لا يعرف حداً يقف عنده ولسانه يتناول القاصي والداني ، وينال من كان بالتاريخ الغابر أو اليوم الحاضر في حين أن رسول الله (ص) يقول :

« رُب كلمة قالها صاحبها ليضحك بها من في المجلس تهوي به في جهنّم سبعين خريفاً » .

والإمام الصادق (ع) يضيف قائلاً :

« لا أدري من أيام الدنيا هي أم من أيام الآخرة » [1] .

---

(١) الارشاد لمن طلب الرشاد .

وقوله (ص) :

« إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة لِيُضحك بها الناس - وفي رواية جلساءه - يهوي بها أبعد من الثريا »[1] .

و - الإتهام وسوء الظن :

وغالباً ما يتولد سوء الظن والتهمة لدى الإنسان حينما يتبنّى فكرة ما ثم يتحيز ويتعصب لها . ثم يجد من يخالفه الرأي فلا يتردد في إساءة الظن به واتهامه ، والحديث عليه غيبة لاسيما وأنه يريد شينه وإسقاطه من أعين الناس . وقد مرّ علينا الحديث الذي يحذّر من مغبة هذا الصنيع فعاقبته أن يخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان !!

وقال (ص) :

« إن الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه . وإن يُظن به ظن السوء »[2] .

كما روى الإمام جعفر الصادق (ع) قال : قال النبي (ص) :

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الكذب وكونوا

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٦٥ .

(٢) نفس المصدر .

إخواناً في الله كما أمركم الله . ولا تتنافروا ، ولا تجسسوا ، ولا تفاحشوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، ولا تتباغوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تتحاسدوا ، فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب اليابس »[١] .

ز ـ الحسد وخبث السريرة :

فالنفسية الضيقة المليئة بالعقد تجعل صاحبها ينال ممن يثني عليه الناس ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلاّ بالقدح فيه فيحاول أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفّوا عن إكرامه والثناء عليه ، لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس على المحسود وإكرامهم له . ولا يحتاج أن يكون المحسود مسيئاً أو ظالماً كي يُحسد وإنما قد يكون الحسد مع الصديق المحسن والقرين الموافق أو الزميل المنافس . قال البراء بن عازب : خطبنا رسول الله (ص) حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال :

« يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبّع

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٥٢ .

الله عــورتـه ، ومن تتبــع الله عـورتــه يفضحــه في جــوف بيته »[1] .

حـ ـ تصديق الخبر والإذاعة :

وهو إن ينشر المرء كلامـاً يغتاب بـه بعض الأفراد فـإن سمعه الأخرون وصـدقـوا قـولـه دون أن يتثبتـوا ويتيقنـوا من صحته فإنهم ينشرونه بدورهم لأن القائـل موضـع ثقة لـديهم فهم يسندون الكلام إليـه ، ومع ذلـك فالقـرآن لا يعذرهم إذ يقول :

﴿ يا أيها الـذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبـأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾
سورة الحجرات ، الآية ٦ .

وقال الإمام الصادق (ع) :

« لا تـدع اليقين بالشـك ، والمكشوف بـالخفي ، ولا تحكم على ما لم تره بما يُروى لك عنه ، وقـد عظّم الله امـر الغيبة وسوء الظن بإخوانكم المؤمنين »[2] .

ولـذلـك فـالأولى أن نقـول : « اللهم إنــا لا نعلم من

---

(١) مسند أبي داوود ج١ ص٥٦٨ .
(٢) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٦ .

ظاهره إلا خيرا » .

ط ـ الجهل بالدين والبعد عنه :

ممّا جعل الناس طعمةً للإنحراف عن الجادّة السوية ، فالقرآن مهجور ، والحديث مدروس ، والتراث غائب بل الإسلام مُنحّى عن الحياة . . فإن لم تحضر أحكام الشريعة ونصوص الدين ونواهي الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار ، لم يتبادر الى ذهن المتحدث أو المستمع قضايا الغيبة وتفصيلاتها !

كما يسهل على المغرضين ترويج اتهاماتهم وبهتانهم لمن يخالفهم الرأي أو تحكّم البغض والحسد في نفوسهم ضدّه .

ي ـ الخوف من العمل تقاعساً عن المسؤولية :

كثير هم الذين يتّهمون العاملين في حقل الاصلاح والتغيير ، ويروّجون ضدّهم القيل والقال للتقليل من شأنهم وجهادهم وتضحياتهم لسببين . . الأول : أن لا يتهم الناسُ القاعدين بالخوف من لحوق الضرر بهم كدخول السجون ومطاردة السلطات وغيرها والتقصير والتهرب من المسؤولية . مما يؤدي لسحب البساط من تحت أقدامهم . الثاني : كيلا يلتف الناس حول المجاهدين المضحّين فتكون لهم القيادة

والحظوة لدى الجماهير ، وبذلك يخسر القاعدون الساحة والسمعة والجاه والمصالح .

ك ـ إشاعة الطاغوت للفحشاء في المجتمع :

فالطاغوت له مساهمة فعّالة في هدم وحدة المجتمع وتفريق صفوفه واختلاف كلمته .

وترويج الغيبة والتشجيع عليها وتنمية روح النميمة والسعاية والتجسس أضحت أعمالاً لها أدارات ومؤسسات ودوائر حكومية وموظفين رسميين . فإذا كان التجسس والسعاية صفة رسمية فما بالك بالغيبة بعدئذٍ ؟

ل ـ عمل الإستعمار وترويج الشائعات :

وقد برع الإستعمار في تشويه سمعة العلماء المجاهدين بدءً بالسيد جمال الدين الأفغاني ثم المجدد والثائر الشيرازي وانتهاءً بالإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية ، لا يخفى على أحد ما يتعرّض له الكثير من مراجع المسلمين اليوم من الأذىٰ والتُهم والأقاويل . وكل ما يحاوله الاستعمار إنّما تحطيم شخصية قادة الأمة ونهجهم ومن لم يُجدِ معه اسلوب الدعاية وتشويه السمعة حاولوا اغتياله كالشهيد البنّا ، والصدر والسيّد حسن الشيرازي أو اختطافه كالسيد الإمام موسى الصدر . وهكذا نجد أن

الشائعات تستمد قوتها من الغيبة ، والغيبة تنتشر بين الناس نتيجة لكل هذه العوامل .

م ـ أحابيل إبليس :

كل العوامل السابقة بواعث واضحة جليّة في الغيبة إلاّ أن هناك بعض الأمور الخفية التي قد تفوت المؤمن المخلص أو حتى بعض المتصفين بالطاعة والتقوى وظاهرهم الصلاح إذ يزّلّ بهم اللسان بالنيل من بعض أقرانهم أو أشباههم بما يعتقدون أنه صحيح ، فإذا بهم يغتابون ، أو تجد البعض ممن يسوغ لنفسه قدح الآخرين واغتيابهم لأن إبليس قد لبّس عليه بأضاليله أن فلاناً الذي يعتقد « هكذا عقيدة » ويفكّر « هكذا تفكير » فإنه قد فسق ، وبما أنه فاسق إذاً تجوز غيبته فيقع فيه الى درجة البهتان والإفك .

عن مسألة التفسيق يروىٰ عن العلاّمة الأنصاري ـ نوّر الله ضريحه ـ أنه كان يقول : إنني سامحت من يغتابني من الناس إلاّ العلماء ! فقيل له في ذلك ، فقال : لأن المشتغل بالعلم لا يغتابني حتى يفسّقني فإذا فسقني لم يتورّع عن شيء !!

لكن قبل أن نبسط الحديث في هذه النقطة هناك رواية للإمام الحسن (ع) أنه قال :

« ذكر الغير بالسوء ثلاث أقسام : الغيبة والبهتان والإفك ، ولكل في كتاب الله والغيبة أن تقول ما فيه ، والبهتان أن تقول ما ليس فيه ، والإفك أن تقول ما بلغك »[1] .

ومن هذه العوامل :

الأول : تلبيس إبليس على الداعية المؤمن . .

حيث يأتي الشيطان غفلة من باب التعجب إذ يعجب من فعل فلان فيذكره ويذكر خطأه وهو صادق في تعجبه وله الحق أن يتعجب ولكن ليس له الحق أن يفضح أخاه أو يغتابه !!

أو يأتي إبليس غفلة من باب الرحمة لفلان حينما يبتلى بمعصية أو كارثة موبقة فيترحم له صادقاً ويحق له ذلك ولكن ليس له أن يذكر الإسم فيأثم . وإما يأتيه إبليس غفلة من باب الغضب لله على منكر اقترفه إنسان ما فيغضب إذا رآه أو سمعه ويذكر إسمه وإن كان له الحق أن يغضب كي ينهى عن المنكر فإنه لا حقّ له أن يغتاب .

الثاني : تلبيس إبليس على بعض المتدينين الذين

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٥٧ .

يفهمون معنى الغيبة ولكن يبطّن غيبته بمدح أو دعاء أو تألم وكأن هذه البطانة سوف تخرج الغيبة من كونها غيبة . . يقول الشهيد الثاني رحمه الله تعالى :

« ومن اخبث أنواع الغيبة غيبة المتسمين بالفهم والعلم المرائين ، فإنهم يفهمون المقصود على صفة أهل الصلاح والتقوى ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتي الرياء والغيبة وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول : الحمد لله الذي لم يبتلنا بحب الرئاسة أو بحب الدنيا ، أو نعوذ بالله من قلة الحياء وسوء التوفيق ونحو ذلك فإنه يغتابه بلفظ الدعاء وسمة أهل الصلاح . وإنما قصده أن يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء ودعوى الخلاص من الرذائل ، وهو عنوان الوقوع فيها بل في أفحشها »[1] .

وبذات الأسلوب يقدم لمن يريد غيبته بشيء من المدح أو التعجب كأن يقول : ما أحسن فلان لولا . . . ، أو سبحان الله ما أعجب هذا . . . ! وهكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعلم أو العمل من غير أن يُتقنوا

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٥١ بتصرّف .

الطريق ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم .

الثالث : من يخدعهم الشيطان بالتبرير كما ذكرناهم آنفاً ، فبعض الناس يُكفّر بعض المسلمين لكي يضربهم بسياط لسانه أو يُفسق البعض الآخر لكي ينال منهم بغيبته وكأنه لم يسمع حديث الرسول (ص) حينما قال :

« من كفّر مسلماً فقد كفر » .

أو قوله (ص) :

« لا يرمي رجلٌ رجلاً بالكفر ، ولا يرميه بالفسق إلاّ ارتدّت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك »[1] .

وقوله (ص) :

« ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاّ باء به أحدهما ، إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره »[2] .

وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم ، فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً كافراً . فهل يتورّع بعض دعاة التفرقة عن تكفير المسلمين ؟ وهل ينتهي بعض

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٢٤ .

(٢) صحيح مسلم ج١ ص٥٧ .

أصحاب القلوب الضيقة من تفسيق المؤمنين ؟

إن الخطر لا يحيق إلّا بمن يصدّرون الأحكام جزافاً ! وإلّا بأي حق ينال أحد من إخوته المؤمنين بما يكرهون ؟ فإن زعم أنه لا يغتاب إلّا فاسقاً فإن الإسلام لا يجيز له أن يغتاب إلّا فاسقاً مجاهراً بفسقه أمّا الذي يرتكب فاحشة لا يريد لأحد أن يطّلع عليها فلا بد من ستره لأن الله هو الستّار . وقد ورد في الحديث عن علي أمير المؤمنين (ع) أنه قال له نبي الله (ص) :

« لو رأيت رجلاً على فاحشة ؟ قال : استره ، قال : إن رأيته ثانياً ؟ قال : استره بإزاري وردائي ، إلى ثلاث مرات ، فقال النبي (ص) : لا فتى إلّا علي » .

وقال (ص) :

« استروا على إخوانكم »[1] .

إن القضية لا تكمن فيمن يغتاب الناس فحسب وإنما يشاركه في ذلك من يسمع الغيبة فيرضى بها بل قد يشجع عليها وهو يظن أنه بريء من الغيبة ولو أن كل فرد آلى على نفسه أن لا يُسخّر سمعه لأحاديث الغيبة لاستطعنا أن نضمن

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٣٦ .

نصف العلاج لمشكلة الغيبة . ولو أخضعنا أحاديثنا لمقاييس العقل والحق وفكرنا ملياً وعرفنا كل شخص نتكلم عنه ، ولماذا ؟ وعرضنا الكلام على العقل ، وتذكرنا آفات اللسان وجعلنا حديث الرسول (ص) نصب أعيننا « قل خيراً أو فاصمت » ، لما اقدمنا على الغيبة إلا في موقف يصح لنا فيه النقد والجرح .

وقد جاء في الحديث الشريف أن :

« السامع للغيبة كالمغتاب » .

يقول الشهيد الثاني تغمّده الله بالرحمة والرضوان: « والتصديق للغيبة غيبة ، بل الإصغاء إليها بل السكوت عند سماعها ، قال رسول الله (ص) : « المستمع أحد المغتابين » وقال علي (ع) : « السامع للغيبة أحد المغتابين » ومراده (ع) السامع على قصد الرضا والإيثار لا على وجه الاتفاق أو مع القدرة على الإنكار ولم يفعل ، ووجه كون المستمع والسامع على ذلك الوجه مغتابين مشاركتهما للمغتاب في الرضا وتكيّف ذهنهما بالتصوّرات المذمومة التي لا ينبغي ، وإن اختلفا في أنّ أحدهما قائل ، والآخر قابل ، لكن كلّ واحد منهما صاحب آلة أما أحدهما فذو لسان يعبر عن نفس قد تنجّست بتصوّر الكذب والحرام والعزم عليه ، وأمّا الآخر فذو سمع تقبل عنه النفس تلك الآثار عن إيثار

وسوء اختيار ، فتألفها وتعتادها ، فتمكّن من جوهرها سموم عقارب الباطل ، ومن ذلك قيل : السامع شريك القائل ، وقد تقدّم في الخبر ما يدلّ عليه .

فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلاّ بأن ينكر بلسانه ، فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه ، ولو قال بلسانه اسكت وهو يشتهي ذلك بقلبه ، فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة لا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه »[1] .

ومرة نظر أمير المؤمنين (ع) الى رجل يغتاب رجلاً عند الحسن إبنه فقال :

« يا بني نزّه سمعك عن مثل هذا ، فإنه نظر الى اخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك »[1] .

أمّا من يريد النيل من الناس فرداً كان أو جماعة بحجّة أن أفكارهم غير صحيحة بل منحرفة فإن الإسلام يعطي للأفراد حرمة وحقوقاً ما لم يهتكوا بذنوبهم عصمهم ! إذ أن بعض الذنوب قد تهتك حرمة المرء وعصمته ولذا ورد في دعاء كميل . .

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٢٥ .

(٢) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٥٢ .

« اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم » . .

من هنا فإن الإسلام يقول : « انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال ! » إي لا تبحث عن الشخص الذي قال ولا تفكّر فيه شخصياً كائناً من كان ، ولكن عليك بالأفكار التي قيلت فهي لا بد أن تخضع لمقاييس الحق والعقل ، اقبلها إن وافقت الحقيقة ، وانبذها إن كانت باطلاً . فإن كانت حقاً فتبنّها ولو خرجت من فم كافر فإنّ « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنّىٰ وجدها » ، وانتقدها إن كانت باطلاً ولو جاءت من أقرب الناس إليك كأبيك أو شيخك أو استاذك دون أن تمس الشخص بسوء من القول أو الفعل .

ومسألة الأفكار مسألة اخرى فإن حرية الفكر والرأي مضمونة في الإسلام فللمسلم ان يفكّر كيف يشاء ، بل للإنسان في الدولة الإسلامية حرية الرأي إذ له أن يعبّر عن رأيه وله أن يفكر وينشر أفكاره إن لم تكن مخلّة بقيم الحق والفضيلة . ولو خالفت أصل الإسلام ولم يكن هو مسلماً فله أن يبقىٰ على معتقده دون أن ينكر عليه منكر ولكن ليس له أن يدعو لأفكاره في دولة الإسلام ، فالمسيحيون مثلاً لا يستطيعون التبشير بالنصرانية في دولة الإسلام ولا بناء كنيسة جديدة ، ولا دق النواقيس بما يجرح عواطف المسلمين ولكن قد يُستثنى من ذلك ما يراه الحاكم العادل من مصلحة

الوطن والإسلام إن كان الإعلام العالمي يبطـل مثلاً بحقوق الإنسان فللحاكم أن يتصـرّف بما لا يخـل بسمعة ومصلحة الإسلام . أما المسلم فالواجب الشرعي يقتضيه أن يقوم بنشر الإسلام وهداية الآخرين بغض النظر عن مذهبه وفكره ورأيـه إن لم يخـرج عن إطار الـدين وصميم الشريعـة الإسلاميـة ، لأن لكل إنسان أن يدعو لما يرىٰ أنه الحق وليس له أن يفرض آراءه على غيـره بالقـوّة ، حتّى ولو كـانت هي الحق بعينـه إذ يقول تعالى :

﴿ فذكّر إنّما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر ﴾ . . !
سورة الغاشية ، الآية ٢٢ .

فالحرية إذاً مضمونة في الإسلام لكل فرد حيث يعبّـر عن رأيـه وفكرتـه بالقـول أو الكتابـة فكيف بـالمسلم المؤمن المجتهد إذن ؟

ألا يحق له أن يتكلم ويفكر ويناقش لاسيّما وانه يعتمد الـدليل منـطلقاً من الإطـار الإسلامي أو من مصـادر التشريـع (كتاب الله وسنّة رسوله (ص) والأئمة الطاهـرين من آله (ع) مع العقل والإجماع) ؟!!

إن الإعتـراض على العلماء عبـر البحث العلمي أمر لا غبار عليه ، ولكن أن يُمنع العلماء من الإدلاء بآرائهم فذلـك

أمر مرفـوض ، لأن المنع خنق للحـريّات من جـانب وتهديـد بتقويض الحوزات العلمية من جانب آخر .

ولا نشك أن الغيبة أحياناً تُستخدم كوسيلة ضغط لمنـع العلمـاء من الإدلاء بـآرائهم بحـريّـة تـامّـة . فهـل يـرضى المسلمون بذلك ؟

الفصل السابع

الغيبة في تعاليم السماء

﴿ ولا تقفُ ما ليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾

سورة الإسراء ، الآية ٢٧ .

* إن كنت مؤمناً فلا تغتب ولا تجالس المغتابين !!

عن أبي عبد الله (ع) قال :

« قال رسول الله (ص) : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسَبُّ فيه إمام أو يُغتاب فيه مسلم ، إن الله يقول في كتابه : **﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإمّا ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾** [1] .

---

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٤٦ .

عن النبي (ص) :

« المجالس بالأمانة ، ولا يحل لمؤمن أن يأثر (ينقل) عن أخيه المؤمن قبيحاً » [1] .

* مبعث الغيبة في المرء « الحرام » وسوء الطوية :

قال الإمام علي عن رسول الله (ص) :

« كذب من زعم أنه وُلِد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة فإنها إدام كلاب النار » .[2]

وقال (ص) :

« ما عمر مجلس بالغيبة إلّا خرب من الدين ، فنزّهوا أسماعكم من إستماع الغيبة فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم » . [3]

وقال (ص) :

« عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب » [4] .

وروى ابن عباس :

« عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث للغيبة ، وثلث

(١ و ٢) الإرشاد لمن طلب الرشاد ص٦٥ .

(٣ و ٤) عن جامع الأخبار ص١٥١ .

للنميمة ، وثلث للبول »[1]

قال جابر بن عبد الله الأنصاري :

« كنّا مع رسول الله (ص) في مسير فأتى على قبرين يعذّب صاحباهما فقال؛ أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبيرة ، أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأمّا الآخر فكان لا يستنزه من بوله ، ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست في قبر . فقال النبي (ص) : أما أنّه سيهوّن من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا »[2] .

* عن نوف البكالي قال : أتيت أمير المؤمنين (ع) وهو في رحبة مسجد الكوفة فقلت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال : وعليك السلام يا نوف ورحمة الله وبركاته فقلت : يا أمير المؤمنين عظني ، فقال :

« يا نوف أحسن يحسن الله إليك » .

فقلت : زدني يا أمير المؤمنين ، فقال :

« يا نوف إرحم تُرحم » .

(١ ـ ٢) المحجة البيضاء .

فقلت : زدني يا أمير المؤمنين ، فقال :

« قل خيــراً تُذكر بخير » .

فقلت : زدني يا أمير المؤمنين . فقال :

« يا نوف اجتنــب الغيبة فإنها إدام كلاب النار » .

ثم قال :

« يا نوف كذب من زعم أنه ولد حلال وهو يأكـل لحوم الناس بـالغيبـة ، وكـذب من زعم أنـه وُلـد من حـلال وهـو يبغضني ويبغض الأئمــة من ولـدي ، وكــذب من زعم أنـه يعرف الله عزّ وجلّ وهو يجترىء على معاصي الله في كل يوم وليلة »[1] .

الغيبة إدام كلاب النار . . كثيراً مـا ورد في الروايـات أن الغيبة كالجيفة أو اللحم النتن أو الصديد وفي هذه الـرواية لا تختلف في المعنى عن ذلك . . إذ في جهنّم توجد أفاعي وعقـارب وكلاب متـوحشة كلهـا من أجل العـذاب . وحينما تشاهد الكلاب جيفة فإنها تلتم عليها . . ولذلك فإن صاحب الغيبـة يعني صـاحب الجيف في النـار . . أي يلتم حـولــه كلاب النار للنيل مما عنده !! والله اعلم .

---

(١) الإرشاد لمن طلب الرشاد ص٦٣ .

أما قول الإمام (ع) كذب من زعم أنه ولد حلال .
فاعتقد أن المقصود ليس ابن الزنا فحسب وإنما قد يكون إبناً شرعياً لأبويه ولكن أبويه لا يتورعان عن أكل السحت وقول الزور والسرقة وإطعام إبنهما من الحرام فيكون بذلك ليس مولوداً من الحلال . ومن الله المغفرة والرضوان .

ومما يؤيد هذه الفكرة قول الإمام الصادق (ع) :

« من لم يبال ما قال وما قيل فيه فهو شرك شيطان ومن لم يبالي أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك شيطان ومن اغتاب أخاه المؤمن من غير ترةٍ بينهما فهو شرك شيطان ، ومن شُغف بمحبة الحرام وشهوة الزنا فهو شرك شيطان »[1] .

* من هو الذي لا تجوز غيبته ؟

عن علقمة قال : قلت للصادق (ع) : يا ابن رسول الله أخبرني عمن تُقبل شهادته ومن لا تُقبل فقال :

« يا علقمة كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته » .

فقلت له : تُقبل شهادة مقترفٍ للذنوب ؟فقال :

---

(١) ميزان الحكمة ج٥ص٩٥ .

« يا علقمة لو لم تُقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قُبلت إلاّ شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق ، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان ، فهو من أهل العدالة والستر ، وشهادته مقبولة ، وإن كان في نفسه مذنباً ، ومن اغتابه بما فيه فهو خارج عن ولاية الله عزّ وجلّ داخل في ولاية الشيطان . ولقد حدّثني أبي عن أبيه ، عن آبائه (ع) أن رسول الله (ص) قال : « من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنّة أبداً ، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما . وكان المغتاب في النار خالداً فيها ، وبئس المصير »[١] .

* الغيبة أشد من الزنا :

عن أسباط بن محمد رفعه الى النبي (ص) أنه قال؛

« الغيبة أشد من الزنا » ، فقيل : يا رسول الله ولم ذلك ؟ قال : « صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه ، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يُحلّه »[٢] .

---

(١) آمالي الصدوق ص٦٣ .
(٢) الخصال ج١ ص٣٣ .

* ترك الغيبة خير وبركة :

جاء في دعوات الراوندي عن النبي (ص) قال: « ترك الغيبة أحب الى الله عزّ وجلّ من عشرة آلاف ركعة تطوعا » .[1]

وقال (ص) :

« أمسك لسانك فإنها صدقة تصدّق بلسانك » .[2]

وقال كذلك :

« ست خصال ما من مسلم يموت في واحدة منهن إلاّ كان ضامناً على الله الجنّة . . . ورجل نيّته أن لا يغتاب مسلماً فإن مات على ذلك كان ضامناً على الله الجنّة . . . » الخبر[3] .

* قل في أخيك ما تحب أن يقول فيك :

قال الحسين بن علي (ع) :

« لا تقولنّ في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلاّ مثل ما تحب أن يقول فيك إذا تواريت عنه »[4] .

* فيمن يذبّ عن عِرض أخيه أو إخوانه بظهر الغيب :

---

(١) (٢) (٣) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٦١ .
(٤) نفس المصدر ص٢٦٢ .

ورد في تفسير الإمام العسكري (ع) أن :

« من حضر مجلساً قد حضره كلب يفترس عرض اخيه أو إخوانه واتسع جاهه فاستخف به ، وردّ عليه وذبّ عن عِرض أخيه الغائب ، قيّض الله الملائكة المجتمعين عند البيت المعمور لحجّهم وهم شطر ملائكة السماوات وملائكة الكرسي والعرش ، وهم شطر ملائكة الحجب فأحسن كل واحد بين يدي الله محضره يمدحونه ويقرّبونه ويقرظونه ويسألون الله تعالى له الرفق والجلالة فيقول الله تعالى : أما أنا فقد أوجبت له بعدد كل واحد من مادحيكم له عدد جميعكم من الدرجات وقصور وجنان وبساتين وأشجار مما شئت مما لم يحط به المخلوقون »[1] .

وقال (ص) :

« من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه وحلم عنه ، أعطاه الله أجر شهيد ، ألا ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من السوء في الدنيا والآخرة فإن هو لم يردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة »[2] .

---

(١) تفسير الإمام العسكري (ع) ص٣٠ .
(٢) آمالي الصدوق ص٢٥٣ .

فيما يبدو لي من قوله (ص) « لم يردها وهـو قادر » أي ليس لم يردّها لأنه وجد حرجاً في الكلام بصورة أو بـاخرى ، وإنّما لم يردّها لأنه يشارك القائـل نفس الرأي وإلاّ فـإن الأول إن كان منكراً لها بقلبه ولم يستطع أن يردّها بلسانـه فلأنـه من باب أضعف الإيمان أي أنكرها بقلبـه وذلك أضعف الإيمـان وله أجر عند الله بحيث لا يُحسب من المغتابين والله أعلم .

* أتدري ماذا تفعل الغيبة . . ؟

ممـا جـاء في منـاهي النبي (ص) أنـه نهىٰ عن الغيبـة والاستماع إليها وقال (ص) :

« من اغتـاب امـرءاً مسلمـاً بـطل صـومـه ، ونقض وضوؤه ، وجاء يوم القيامـة تفوح منـه رائحة انتن من الجيفـة يتأذّى به أهل الموقف ، فإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرّم الله » [٢] .

* عاقبة البهت :

عن أبي عبد الله (ع) قال؛

« من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبـال حتى يخرج ممـا قال ، قلت ومـا طينة خبـال ؟ قـال :

---

(١) نفس المصدر .

صديد يخرج من فروج المومسات » . [1]

والخبال يعني الفساد . . وقد ورد كذلك . .

« من قفا مؤمناً بما ليس فيه وقفه الله في ردغة الخبال حتى يجيء بالمخرج منه ، فيقال هو صديد أهل النار » .

قوله : قفا أي قذف ، والردغة : الطينة كما قال الجوهري [2] .

* مشهد من حالة المغتاب في النار :

عن الصادق عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله(ص) :

« أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى ، يُسقَوْن من حميم الجحيم ، يُنادون بالويل والثبور يقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى فرجل معلّق في تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً ورجل يأكل لحمه ، فقيل لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس ، لم يجد لها في نفسه أداءً ولا وفاءً ، ثم يقال للذي يجر

(١ و ٢) الكافي ج٢ ص٣٥٧ / البحار ج٧٢ ص٢٤٤ .

أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذىٰ ؟ فيقول : إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده !! ثم يُقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذىٰ ؟ فيقول : إن الأبعد كان يحاكي فينظر إلى كل كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها ، ثم يقال للذي كان يأكل لحمه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذىٰ ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة . ويمشي بالنميمة [1] .

* الغيبة والحسنات :

رُوي عن النبي (ص) أنه قال :

« ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد » [2] .

* الغيبة تمحق العبادة :

عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) :

« الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث ، قيل : يا رسول الله ، وما الحدث ؟

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٢١ .

(٢) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٥٠ .

قال الإغتياب »[1] .

* الغيبة والصوم :

قال النبي (ص) : « من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة ، إلاّ أن يغفر له صاحبه » .[2]

وقال (ص) :

« من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه » [3] .

* العفو عمّن اغتابك صدقة :

رُوي عن النبي (ص) أنه قال :

« ايعجز أحدكم أن يكون كابي ضمضم ؟ كان إذا خرج من بيته قال؛ اللهم إنّي تصدّقت بعرضي على الناس ، معناه إني لا أطلب مظلمته يوم القيامة . ولا أخاصم عليها ، لا أنّ غيبته صارت بذلك حلالاً ! [4] .

* ضرورة التحلل من الغيبة وإلاّ :

---

(١) (٢) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٤٩ .
(٣) نفس المصدر ص٢٥٨ .
(٤) المحجة البيضاء ص٢٧٤ .

قال النبي (ص) :

« من كانت عنده في قلبه مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيّئات صاحبه فزيدت على سيّئاته »[1] .

* الغيبة في تعريف الصادق (ع) :

قال الصادق (ع) : الغيبة حرام على كلّ مسلم . مأثوم صاحبها في كلّ حال ، وصفة الغيبة أن تذكر احداً بما ليس عند الله عيب ، وتذم ما يحمده أهل العلم فيه ، وأمّا الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم ، فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به ، وكنت أنت معافىً عنه خالياً منه ، تكون في ذلك مبيناً للحق من الباطل ببيان رسول الله (ص) ولكن على شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراداً غير بيان الحق والباطل في دين الله ، وأمّا إذا أراد به نقص المذكور به بغير ذلك المعنى ، فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صواباً ، فإن اغتبت فبلغ المغتاب لم يبق إلا أن تستحل منه ، وإن لم يبلغه ولم يلحقه علم ذلك فاستغفر الله له .

---

(١) نفس المصدر ص٢٧٣ .

والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أوحى الله تعالى عزّ وجلّ الى موسى بن عمران (ع) : المغتاب إن تاب فهو آخر من يدخل الجنة وإن لم يتب فهو أوّل من يدخل النار . قال الله عز وجلّ : ﴿ أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ الآية ، ووجوب الغيبة يقع بذكر عيب في الخَلق والخُلق ، والعقل والمعاملة والمذهب والجهل وأشباهه وأصل الغيبة تتنوّع بعشرة أنواع : شفاء غيظ ومساعدة قوم ، وتهمة ، وتصديق خبر بلا كشفه ، وسوء ظن ، وحسد ، وسخرية وتعجّب ، وتبرّم ، وتزين ، فإن أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق ، فيصير لك مكان الغيبة عِبرة ومكان الاثم ثواباً »[1] .

الغيبة تنتن البحر :

رُوي في سُنن أبي داوود ، والترمذي عن عائشة (رض) قالت :

قلت للنبي (ص) حسبك من صفية كذا وكذا ، قال بعض الرواة ؛ تعني قصيرة ، فقال النبي (ص) : « لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته » أي خالطته مخالطة يتغير

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٢٥٧ .

بها طعمه وريحه لكثرة نتنها[1] .

وهذه التعاليم السماوية ليست إلا نـزراً قليلاً ممـا ورد بهذا الخصوص . . ولو شئنا الاستـطراد لاحتجنا إلى الكثيـر من الصفحات ولكن رمنا الاختصار .

---

(١) المستطرف في كل فنّ مستظرف ج١ ص ١٨٠

الفصل الثامن

من لا غيبة له

﴿ ولا تُطع كل حلاَّف مهين همَّاز مشَّاء بنميم ﴾

سورة القلم ، الآية ١٠ .

إنّ إطلاق الكلام على عواهنه حرام لا يجوز . وللناس حرمات لا يجوز اختراقها . وكل ما قصد به إستنقاص المؤمن وإذلاله فهو حرام . إلاّ أنّ هناك حالات تتوقف فيها الحرمة من أجل مصلحة اسلامية . فما كان القصد فيه نية سليمة واسلوب شريف تخدم غاية نبيلة كان ذلك الكلام سليماً لا غبار فيه وإن بدا في الكلام ما يدل على أنه غيبة فإن الشرع قد جوّزه في مواضع .

وقد وردت الروايات محدّدة العدد أحياناً لمن لا غيبة لهم ومختلفة في أصنافهم مع اختلاف العدد أحياناً اخرى . . مثلاً :

« من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » [1] .

. . ذكرت هذه الرواية واحداً

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٤٠ .
(٢) نفس المصدر .

« ثلاثة ليست لهم حرمة : صاحب هوىً مبتدع ، والإمام الجائر ، والفاسق المعلن الفسق »[٢] .

.. ذكرت ثلاثة أمّا رواية

« أربعة ليست غيبتهم غيبة : الفاسق المعلن بفسقه ، والإمام الكذّاب إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر ، والمتفكّهون بالأمهات ، والخارج عن الجماعة الطاعن على أمّتي الشاهر عليها بسيفه »[١] .

.. ذكرت أربعة وهكذا تتنوّع الروايات تحدد عدداً معيّناً لمن لا غيبة لهم إلاّ أن فقهاءنا الأفاضل قد حدّدوا المواضع التي يجوز فيها ذكر الغيبة حسب ما وردت في الروايات من خلال تتبعها وهي كثيرة لكن أهمّها ما يلي :

الأول : المتظلم إذا اشتكى ممن إعتدى عليه . فالظالم لا غيبة له ولا حرمة ، قال تعالى :

﴿ لا يُحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظُلِم وكان الله سميعاً عليماً ﴾ .

فليس لكل متكلّم حق في أن يجهر بالسوء أي بالغيبة إلاّ إن كان مظلوماً فله أن يتظلّم عند من يرفع الظلم عنه ، أو لكشف الظالم عند الناس وتحذيرهم منه .

---

(١) نفس المصدر .

الثاني : من فضح فاسقاً معلناً بفسقه كشارب الخمر . فالفاسق المجاهر لا غيبة له ولا عصمة . فقد قال الرسول (ص) :

« ليس للفاسق غيبة »[1] .

وقال :

« أترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس ؟ فاذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس »[2] .

الثالث : من أراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فذكر مساوىء شخص عند من يريد نهيه عنها جائز . وكذلك لو أراد الحث على التخلّق بأخلاق جميلة فيقارن له بين فعلين متعاكسين . سلبيّات وإيجابيات شخص أو شخصين مختلفين فهو جائز . والقضيّة مشروطة هنا بصدق نيّة الإصلاح وإلاّ فإن الغيبة حرام !

الرابع : الشهادة على مقترفي الجرائم . فالشاهد له أن يذكر مساوىء المتّهم إذا حضر عند القضاء .

الخامس : نصح المستشير إذ لا بد له من أن يقدم النصيحة لمن استنصحه وكذلك الإصلاح إن كان لا يتم إلاّ

---

(١) نفس المصدر ص٣٤١ .

(٢) نفس المصدر .

بذكر عيوب الصديق أو الصاحب . فلا بأس بذلك كما أسلفنا أعلاه .

السادس : جرح الراوي والشاهد للوثوق من عدالته .

السابع : ضرورة التعريف بإنسان إن كان لا يُعرف إلّا بوصف فيه كالأعرج والأصلع والاعمش . وأحياناً تُلَطَّفُ هذه الألفاظ فيُقال للأعمى (البصير) والأعور (كريم العين) .

الثامن : تفضيل بعض العلماء على بعض وكذلك الصنّاع ، جائز إن لم يطل التفضيل أشياء وصفات شخصيّة . أمّا ما يتعلّق بالعمل العام وما يعود على الأمة فلا بأس بذلك . ومن هذا المنطلق يجوز مناقشة المسائل القيادية في العالِم ، دون المسائل الشخصية المتعلقة بذاته شخصياً !! .

التاسع : التنبيه على الخطأ في المسائل العلمية (الفقهية) ونحوها بقصد أن لا يتبعه أحد فيها وهذا راجع لنقد الأفكار كما أسلفنا . ومن هنا يجوز القدح في المقالات الفاسدة والإدعاءات الباطلة .

العاشر : لا غيبة لمشرك أو لكافر وكذلك « الإمام الجائر » .

الحادي عشر : رد من ادّعى نسباً مزوّراً حيث قال

الرسول (ص) :

« لعن الله الداخل فينا بلا نسب والخارج منّا بلا سبب » .

ومهما يكن الأمر فإن هذه المواضع ليست إلّا إستثناءات يجب أن لا تنسينا حرمة الأصل في الغيبة . يقول الشهيد الثاني نوّر الله ضريحه :

« وبالجملة فالتحرّز عنها (الغيبة) من دون وجه وراجح في فعلها فضلاً عن الإباحة أولى ، لتتّسم النفس بالأخلاق الفاضلة ، ويؤيده إطلاق النهي فيما تقدّم لقوله (ص) : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال ذكرك أخاك بما يكره » . وأما مع رجحانها كرد المبتدعة وزجر الفسقة والتنفير منهم والتحذير من اتباعهم فذلك يوصف بالوجوب مع إمكانه فضلاً من غيره ، والمعتمد في ذلك كلّه على المقاصد فلا يغفل المتيقظ عن ملاحظة مقصده وإصلاحه . والله الموفّق » [1] .

وما نريد التأكيد عليه هنا . . قضية الظالم الذي لا حرمة له ولا عصمة ولا كرامة ، إذ ليس لا يجوز اغتيابه

---

(١) نفس المصدر ص٣٤٥ .

فقط ، وإنما يجب اغتيابه بل مباهتته إن كان ممن لا يتقون الله في دماء المسلمين ككثير من حكام الجور والأنظمة التي لا ترعى لمسلم إلاّ ولا ذمةً . ففي بعض الأخبار تصريح بالأذن في سب أهل الضلال ، والوقيعة فيهم .

روي الكليني رضي الله عنه في الصحيح عن داوود بن سرحان عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) :

« إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطغوا في الفساد في الإسلام ، ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم ، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة »[1] ؟ .

وما العمل الإعلامي الرصين الذي يتحدث بصدق ويبحث عن الحقيقة لينشرها كالشمس إلا مصداق لهذا الحديث خاصة إن كان يتتبع أخبار الجائرين ويفضح الظالمين ويردع المستكبرين فإن فيه الثواب العظيم عند الله سبحانه وتعالىٰ .

---

(١) : الكافي ج٢ ص٣٧٥ .

الفصل التاسع

الغيبة والموقف الإسلامي

نظراً لماتسببه الغيبة للمجتمع من دمار وآثار سلبية فإن الإسلام حاربها وبغضها للناس سواء للمتحدثين بها أو للمستمعين . فجعل التصامم عنها بداية الحل حيث حمّل المسئولية كلا الطرفين المتكلم والمستمع فقد قال الرسول (ص) :

« المستمع أحد المغتابين » [1] .

وجاء فيما أخرجه الضياء المقدسي في المختار عن أبي بكر وعمر أن أحدهما قال لصاحبه :

« إن فلاناً لنؤوم . ثم طلبا إداماً من رسول الله ليأكلا

(۱) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٦٠ .

مع الخبز ، فقال رسول الله (ص) : « قد ائتدمتما ، فقالا : لا نعلمه ، فقال : بلىٰ إنّكما أكلتما من لحم صاحبكما »[1] .

يعني كلا المتكلّم والمستمع كانا يغتابان الرجل !

وإضافة إلى ذلك فإن هناك بعض الخطوات التي إن إتبعناها إستطعنا تطويق الغيبة ومنعها من الإنتشار .

١ ـ التربية السليمة : بالتركيز على تنمية الطفل سليماً واحاطته بأجواء نظيفة لا ظل للغيبة فيها فإذا نشأ معتدل الشخصية ثابت الجنان فإنه لن يحتاج للغيبة مستقبلاً إذ أنها سلاح العاجز .

٢ ـ حفظ غيبة المؤمن : فهي حق على كل معارفه من إخوانه المؤمنين وقد حذّر الإسلام أن يفرّط في هذا الحق ولا يدفع عنه حيث قال (ص) :

« من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره ولم يفعل . اذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق »[2] .

أما من يدفع عن أخيه المؤمن في غيبته فقد بشره

---

(١) مرفوعاً إلى أنس بن مالك ما في الدر المنثور ج٦ ص٩٥ .
(٢) مسند أحمد ج٣ ص٤٨٧ من حديث سهل بن حنيف .

الرسول الأكرم (ص) بقوله :

« من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ، وحقاً على الله أن يعتقه من النار »[1] .

وإن كان الفاسق المجاهر بفسقه لا غيبة له فالذي يرتكب الفاحشة دون أن يجاهر بها لا يجوز إغتيابه بل يجب ستره كما مر ، يقول الإمام أبو جعفر الباقر (ع) :

« يجب للمؤمن على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة »[2] .

٣ ـ التفكير الجدي بمستقبل الأمة وعزها : فتَبَنِّي مثل هذه القضية يفيد في أمرين :

الأول : أن الإنسان لن يجد وقتاً يضيعه في مسألة ثانوية كالغيبة .

الثاني : إنه يعرف أن الغيبة معول الهدم والدمار . ومستقبل الأمة إنما هو رهين بمحاربتها لا بمزاولتها وهذا التفكير درجة متقدمة من الوعي .

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٦١ .
(٢) الإرشاد لمن طلب الرشاد ص١٢٩ .

والأمة حقاً ليست إلاّ المؤمنين والمؤمنات ، والتفكير بعزهم ومستقبلهم يعني التعاون المشترك والعمل البناء لا الغيبة ولا الإيذاء ولا البهتان ، قال تعالى :

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً عظيماً ﴾

سورة الأحزاب ، الآية ٥٨ .

٤ ـ التحلي بالتقوى ومكارم الأخلاق وتزكية النفس بدل الانغماس بالرذائل والموبقات وخطل الأعمال والأقوال .

قيل لمحمد بن الحنفية : من أدّبك ؟ قال : « أدبني ربي في نفسي فما استحسنته من أولي الألباب والبصيرة تبعتهم فاستعملته ، وما استقبحت من الجهال إجتنبته وتركته منفرداً ، فأوصلني ذلك إلى كنوز العلم »[١] .

٥ ـ المبادرة الرسالية : بتغيير مجرى الحديث حينما تدب الغيبة في مجلس واستبدالها بالأحاديث المفيدة والقصص الممتعة الشيقة والنوادر الهادفة . بل والإشتغال دائماً بالذكر الجميل فذكر الله مطهرة للفم وتزكية للنفس

---

(١) اخلاق أهل البيت ص٢٢٥ .

وطمأنة للقلب ومرضاة للرب فقد جاء في الدعاء .

« اللهم طهّر ألسنتنا ، وأصمم أسماعنا عن اللغو والغيبة » .

« واجعل لساني بذكرك لهجاً وقلبي بحبك متيماً »

وجاء في الحديث الشريف ما يُعتبر أثمن توجيه للرسالي بصدد الغيبة حيث يقول :

« إذا وُقع في الرجل وأنت في ملأ ، فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً وقم عنهم » [1] .

فإن :

« من نصر اخاه المسلم بالغيب نصره الله في الدنيا والأخرة » [2] .

٦ ـ إن كان في النفس شيء على الأخ المؤمن يجب أن لا يبقى في القلب كيلا يُفرّخ فيصبح عداوةً وبغضاءً أو كرهاً . فإن المؤمن لا يبغض ولكن بدلاً من إغتياب الأخ بأخطائه لا بأس من التحدث إليه على انفراد ومسارّته بأخطائه فالإمام الصادق (ع) يقول :

---

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٥٣ .

(٢) المصدر نفسه .

« أحبّ إخواني من أهدى إليّ عيوبي » .

أمّا إن كان ذلك يُغضبه فلا بأس من مصارحته كتابيّاً دون أن تكشف عن هويتك كيلا يغضب منك مع تذكيره بأحاديث النصيحة والنهي عن المنكر .

أما الموقف الرسالي المطلوب بالنسبة لمن يأتيه خبر اغتيابه فهو الصفح والتجاوز والعفو لأن الرسالي لا يحمل في قلبه ضغينة ولا يبقى فيه كره أو حقد أبداً وإنّما ملء قلبه الرحمة والحب ، ولذا فالرسالي لا يغتاب احداً ولا يسمع ولا يسمح لأحد يغتاب عنده الآخرين ، ويصفح عمّن اغتابه بل لا يهتم بما يقال عنه فالتهمة له براءة والغيبة له أجر وثواب ، فقد قال الإمام (ع) :

« لا يسوءنّك ما يقول الناس فيك ، فإنه إن كان كما يقولون ، كان ذنباً عجّلت عقوبته ، وإن كان على خلاف ما قالوا كانت حسنة لم تعملها » [1] .

والله قبل ذلك يوصي نبيه بقوله تعالى :

﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ سورة الأحزاب ، الآية ٤٨ .

---

(١) المصدر نفسه ص٣٣٧ .

٧ ـ لا تضع نفسك موضع التُّهمة والغيبة . .

فإن من دواعي منع الغيبة أن لا تضع نفسك موضعاً يجلب لك المتاعب والتعليقات اللاذعة بل والغيبة فقد جاء في الحديث الشريف :

« رحم الله من جبَّ الغيبة عن نفسه » .

وكان رسول الله (ص) يوماً واقفاً يتحدث في الطريق إلى زوجته صفيّة وهي محجبّة فمّر به احد الصحابة ولما تجاوزه ناداه رسول الله (ص) وقال له . . «إنها زوجتي صفية يا فلان . . » فقال الصحابي : سبحان الله يا رسول الله وهل نشك في عمل تعمله يا رسول الله فقال الرسول الأعظم (ص) :

« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق . . » .

وإنما قال الرسول ما قال علناً منعاً للقيل والقال ولكي يقطع الطريق على الشيطان أن يتلاعب بعقل ذاك الصحابي أن يظن في الرسول أو يقول شيئاً مّا !! ولقد قال الرسول (ص) : «من وضع نفسه في موضع التهمة (الريبة) فلا يلومنّ إلا نفسه » . . !

كفّارة الغيبة :

وسبيل الكفارة بعد الندم على اقترافها أو سماعها . التوبة من آثامها بالإستغفار من الله والعزم على عدم العودة اليها . ثم التودد الى المستَغاب واستبراء الذمة منه فإن صفح وعفى وإلّا كان التودد إليه والإعتذار منه مكافئاً لسيئة الغيبة ، وذلك لمن استطاع الإعتذار حيث وجب عليه ، فإن النبي (ص) قال :

« من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنة أخذت من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته »[1] .

ولكن لمن لم يبلغه الإغتياب ففي الإستحلال منه نظر بل إشكال فالإمام الصادق (ع) يقول :

« إن اغتبت فبلغ المغتابَ فاستحل منه وإن لم تبلغه فاستغفر الله له »[2] .

وذلك لأن في الإستحلال مع عدم البلوغ إليه إشارة

---

(١) المحجة البيضاء ج٥ ص٢٧٣ .
(٢) نفس المصدر .

للفتنة وجلباً للضغائن . فقد يغضب حين الإستحلال منه ويشعر بجرح كبريائه مما يُؤزم الوضع فتكون النتيجة عكسية .

هذا هو الموقف المناسب في حياة المستغاب ، أما إن كانت حفيظته تثور أو كان ميتاً أو غائباً فالاستغفار له بظهر الغيب تكفير عن اغتيابه قال الإمام الصادق (ع) :

« سُئل النبي (ص) ما كفارة الإغتياب ؟ قال : تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته »[1] .

فنسأل الله تعالى أن يقينا موبقات الذنوب ومضلات الفتن ويجعل عاقبة أمورنا خيراً .

« اللهُمّ صَلّ على مُحَمّدٍ وآلِهِ واكْسِرْ شَهْوَتي عَنْ كُلّ مَحْرَم ، وازْوِ حِرْصي عَنْ كُل مأثم ، وَامنَعْني عَنْ أذىٰ كُلّ مُؤمنٍ ومُؤمِنَةٍ ومُسْلم ومُسْلمَةٍ ، اللهمّ وأيّما عَبْدٍ نالَ مِنّي ما حَظَرْتَ عَلَيهِ ، وانْتَهَكَ مِنّي ما حَجَزْتَ عَلَيْهِ ، فَمَضىٰ بِظُلامَتي مَيّتاً ، اوْ حَصَلَتْ لي قِبَلَه حيّاً ، فاغْفِرْ لَهُ ما الَمّ بِهِ مِنّي ، واعْفُ لَهُ عَمّا أدْبَرَ بِهِ عَنّي ، وَلا تَقِفْهُ على ما ارْتَكَبَ فِيّ وَلا تَكْشفْهُ عَمّا اكْتَسَبَ بِي واجْعَلْ ما سَمَحْتُ بِهِ مِنَ العفوِ

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٥٤ .

عَنْهُمْ وَتَبَـرَّعت بِـهِ مِنَ الصَّـدَقَـةِ عَلَيْهِمْ أزْكىٰ صَـدَقـاتِ المُتَصَدِّقين وَاعْلىٰ صلاتِ المُتَقَـرْبينَ ، وَعَوضْني من عَفْـوِي عَنْهُمْ عفْـوَكَ وَمِنْ دُعائي لَهُمْ رَحْمَتَـكَ حَتّى يَسْعَدَ كُـلّ واحِدٍ منّا بِفَضْلِكَ وَيَنْجُو كُلّ منّا بِمَنّكَ ، اللهُمّ وَايّما عَبْدٍ من عَبيدِكَ ادْرَكَهُ مِنّي دَرْكٌ أَوْ مَسّهُ مِنْ نـاحِيَتي اذى او لَحِقَهُ بِي اوْ بِسَبَبي ظُلْمٌ فَفُتـهُ بِحَقِّهِ اوْ سَبَقْتُـهُ بِمَظْلمَتـهِ فَصَـلّ على مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ وَارْضِهِ عَنّي مِنْ وُجْدِكَ وَاوْفِهِ حَقّهُ مِنْ عِنْدِكَ ثُمّ قِني ما يُوجِبُ لَهُ حُكْمُكَ وَخَلّصْني مِمّا يَحْكُمُ بِهِ عَدْلُكَ فَإنّ قُوّتي لا تَسْتَقِـلّ بِنقْمتِـكَ وَإنّ طـاقَتي لا تَنْهَضُ بِسُخْـطِكَ فـإنّـكَ إنّ تُكـافِني بِـالحَقِ تُهْلِكْني وَالاّ تَغَمّدْني بِـرَحمتِـكَ تُـوبِقْني ، اللهُمّ إنّي أسْتَوهِبُكَ يا إلٰهِي ما لا يَنْقُصُكَ بَذْلُهُ وَاسْتَحْمِلُكَ ما لا يَبْهَظُكَ حَمْلُهُ » .

الفهرس



حارة حريك / خلف بنك بيروت والبلاد العربية ـ بناية سبيتي ط٣
ص ب ٩٧/٢٥ ـ ٥٧٨٩/١١٣ تلفون ٨٢١١٤٣ ـ ٨٢٢٥٥٧

